هشام نوستيك

مذكرات كافر مغربي



الكتاب : مذكرات كافر مغربي
الكاتب : هشام نوستيك
الصنف : مذكرات
الناشر : دار الوطن للصحافة والطباعة والنشر
رقم الإيداع القانوني : 2019MO0568
الترقيم الدولي : (ردمد) ISBN : 978-9954-648-46-9
الطبعة الأولى : 2019
الخدمات الفنية والطباعية :



7، رقم 1، زنقة الكوفة، شارع مولاي يوسف، الرباط 10000 - المغرب
تلفونات :
مكتب: 212537703936+
جوال:212673420256+
البريد الإلكتروني:
daralwatan2012@gmail.com

إهداء

تانهدي هاد المذكرات ل «روح» واليديا الي غرقوني بالحب رغم الوقت القصير اللي عشتو في أحضانهما، ول «روح» أختي اللي ضحات بكل شيء من أجلي، وللأصدقاء اللي شجعوني على الكتابة وبذلوا الكثير دون مقابل.

المقدمة

كيفاش كفرتي؟

سؤال تطرح عليا مئات المرات، سؤال تايتطرح فجوج كلمات، ولكن الجواب عليه خاصو بزاف ديال السطورة، بحال هاد القرارات المصيرية اللي تايدير الإنسان فحياتو، هي ثمرة تجارب تّراكمات مع الوقت. التحول ما تايجيش بين عشية وضحاها.

تانآمن بأننا مُسيَّرون، حنا عبيد ديال جيناتنا وبيئتنا، كون ما كانتش جيناتي الموروثة والظروف الزمكانية اللي عشت فيها، كون ما وصلتش لشنو وصلت ليه من قناعات.

هاذ المذكرات تاتسلط الضوء على قبسات من حياتي، بعضها قد يُجيب على السؤال أعلاه. استعملت لغة دارجة بسيطة لأنها أبلغ في سرد الأحداث.

ما تتناظرش العامر عزيزي القارئ، أنا غير داوي خاوي!

الفصل الأول

هنا حليت عينيا



«أنا كلامانية!» هاد الجملة غيرات مجرى التاريخ، ماشي التاريخ ديال العالم، التاريخ ديالي. عبارة عجيبة وغريبة وتقريبا خيالية، كنت تانقولها مين كنت صغير. المعنى ديالها هو «أنا نقرا الألمانية». علاش الألمانية؟ ما نعرف. تا واحد من العائلة، أوالناس للي عرفوني فأيام الطفولة، ما عارف منين جاتني البلية ديال نضرب جبهتي ونقول «أنا كلامانية!». ربما فأل خير لشنو كانت الحياة مخبعة ليا فالمستقبل.

الصورة الوحيدة المضببة للي مازال عندي لحد الآن على الواليد، هي واحد الناموسية بحال ديال العسكر، كواش رماديين، وواحد القرعة ديال سيدي حرازم محطوطة فالأرض مخشي فيها تيو، وداك التيو طالع مع الرجل ديال الناموسية غادي لشي بلاصة. ما كانوش تايخليوني ندخل لداك البيت، ولكن مرة مرة كنت تانغفلهوم وتاندير طليلة.

واحد النهار دخلت، الناموسية كانت خاوية. الواليد مات. كنت مازال صغير باش نفهم شنو وكيفاش وعلاش.

عاودوا ليا أنني ما حبستش من البكا ولكن ما عقلت على والو.

السرطان سرق الواليد وكتاب عليا نتحرم من الإحساس ديال الإبن تجاه الأب ديالو حياتي كاملة. كنت تانحسد الأطفال فالزنقة مع الآباء ديالهم وباقي تانكمدها فقلبي تا لدابا رغم أنني أب لجوج ولاد.

الوالدة قدرات تعوض ليا الفراغ لي خلا الواليد وأكثر. كانت مرأة ونص، بدون مبالغة.

لكن ما هي إلا سنوات قليلة وغا نفقدها تا هي ونولي يتيم بشكل كامل. هاد المرة الألم كان أعمق، حسيت بكل خلية من خلايا جسمي تبكي من الألم. جحيم مايحس بيه غير للي عاشو.

لحسن الحظ تكلفات بيا أختي، للي لعبات دور الوالدين معا، وضحات بالغالي والنفيس باش ما نضيعش كيفما ضاعوا جل الأطفال فالحي للي كبرت فيه. تاتفكرني هاد التبهديلة من يد ليد لي دازت عليا، لداكشي لي داز على محمد نبي الإسلام.

كون ما ماتوش واليديا، كون كبرت فالريف، لكن الموت ديالهم سيفطني نعيش فالقنيطرة. القنيطرة كانت فداك الوقت معروفة أنها مغضوب عليها، حيت حقا والواد قال لك شي نهار ضربو الملك بمطيشة ولا شي لعبة.

مين كبرت هاد فهمت أن هاد القصص ديال غضبة الملك كانت منتاشرة فبزاف دلمناطق فالمغرب. ربما كروش لحرام وصحاب الشكارة كانت مسلكاهم أن المواطن فهاد المدن، يْسبِّي ضعف البنية التحتية وغياب المرافق الصحية والاجتماعية والحزاق كامل، فغضبة سيدنا.

علاش كلشي محفر؟ الملك كاعي على قنيطرة!

علاش السبيطار بحال المقبرة؟ أنظر أعلاه!

كنا فداك الوقت عندنا الخيال خصب، لا إنترنت لا «پارابول»، والتلفزة قناة وحدة تاتبدا مع الستة دلعشية، أربع أو خمس ساعات ديال البث، 90 فالمية ديالها تكاوز ولحيس الكابَّة وكوريا الشمالية. كنا تانختارعو بزاف دلقصص، بحال القصة دمصطفى العلوي - البكَّاي، كيفاش أنه فحياتو السرية كان

أوعر «بيلوط» فالعالم، وعتق سيدنا شحال من مرة، وطاحت بيه الطيارة عند پوليزاريو وماماتش وشي خشلاع. ما تقول غير رامبو.

طبعا ما عمرنا نوصلو لواليدينا وجدودنا للي شافو محمد الخامس فالقمر.

الوالد قبل ما يموت كان كًراد كبيرة فالعسكر واخا كان صغير فعمرو. على حساب ما عاودوا ليا، كنا عايشين مفطحين بحال الطبقة البورجوازية.

غير لفظ أنفاسو الأخيرة تكالبت علينا العائلة ديالو، للي ما كانوش حاملين الواليدة، ودارو لينا التَّعرية الكاملة.

الواليدة ما فاهمة تاوزة، كلات الدق بالبيان، وتجرجرات فالمحاكم، وسمحات فحقوقها، ورضات بربع خبزة باش تعيش ويعيشو ولادها.

بدينا نتلاحو من دار لدار، لا عوين لا رحيم، بحالنا بحال الملايين ديال لمغاربة للي كتبات عليهم الحوادث الجينية يحلو عينيهم فهاد البلاد.

الوالدة واخا واصلة ليها للعظم، كانت تاتحاول تخلق لينا السعادة بأي وسيلة، وبقات على هاد الحال تا قرر سيدي ربي أننا مازال محتاجين 250 غرام ديال الإبتلاء، قتلها وخلانا على الدص.

من بعد البكا والنديب كان على ختي الكبيرة تتاخذ قرار: واش نتلاحو فالخيرية، ولا نتزاحمو معاها فواحد جوج بيوت وكوزينة دايرة بحال قبر الكافر؟

أختي ما قدراتش تتحمل الفكرة ديال تشوف خوتها الصغار مكرفصين فالخيريات، دارت لينا: خلطونا

أختي كانت ياللّه تزوجات ومازال تاتقرا، وراجلها «كوعّلّيم» إخواني ياللّه تِيرَاوْه - لاحوه - لواحد العروبية فالنواحي ديال قنيطرة.

ما عرفتش حياتي كيف كانت غا تدوز كون كبرت فالخيرية، ولكن الحاجة للي متأكد منها هي أن الوقت لي عشتو فالقنيطرة كون الشخصية ديالي، شخصية قوية وإنسانية.

ربما يلا سولني شي واحد ليوم شنو تبغي تبدل فالماضي ديالك، نقدر نبدل أي حاجة إلا الطفولة للي دوزت فهاد المدينة، حيت تعلمت منها أشياء ما يمكنش تعلمها فالمدرسة .

الفصل الثاني

الدرب



قدام ال «guichet» ديال مول الحشيش، تايبان التعايش السلمي والتعاطف والتراحم في أبهى حلله. أرخص قِطْعَة ممكن تشريها، تاتسوا عشرة دراهم. للي عندو غير خمسة دراهم، لا خوف عليه ولا هو يحزن، تايتسنا شوية حدا الشباك، تا تايجي شي رفيق، فقير حقير بحالو، راس مالو خمسة دراهم معدودات، تايديرو اليد فاليد، وتايمشي واحد فيهم يخشي يدو، ويخرجها بعد هنيهة بطريف ديال العشبة السحرية.

دربنا كان مُلتقى يومي للباحثين عن سعادة لحظية تُوفِّرُها الماريخوانا.

الحاج «الريفي» مول «الكّيشي»، كانت عندو واحد المكانة كبيرة، كانت عندو هيبة، كلشي تايخاف منو وكلشي تايبغيه فنفس الوقت.

نهار وصلت أول مرة للدرب، تفاجأت بالناس لي النهار كامل تايجيو يزورو الشباك، بحال الحجاج للي تايتبركو بالحجر الأسود. ما تحتاجش شي واحد يشرح ليك «السيستيم». تاتفهم كلشي تلقائيا. ماشي غير المستهلكين للي

تايجيو يتقداو، تا البوليس تايجيو كل عشية ياخذو أموال المؤلفة قلوبهم. الفرق الوحيد بينهم وبين أمة الفتيخ والبريم والجوانات، هو أنهم تايدخلو يديهم خاوية وتايخرجوها عامرة.

علاش الدولة ما تقننش الحشيش، والضرائب ديالو تبني بيهم البنية التحتية؟ سؤال مهم ولكن هذا موضوع آخر.

الدرب كان جامع أي مصيبة اجتماعية تقدر تطيح ليك فبالك، كاين للي نتاحر، كاين لي قتل مو، اغتصاب جماعي، كريساج، التوكال، دار دعارة عشوائية، مرا خَوَات على راجلها الما القاطع، الشفرة من الديور عاين باين، بلا ما نذكر المدابزات لي أغلبها كانت بالسكاكين والزراوط ولأتفه الأسباب.

الغريب هو أن أحسن بلاصة، تقدر تحس فيها نسبيا بالأمن والسلام، هي حدا «الكَيشي»! الحاج «الريفي» الدكتاتور كان داير تما بحال المنطقة الخضراء فبغداد. البق ما يزهق، كلشي حادر راسو. غير تبعد من الشباك، تقدر تضربك رصاصة طائشة.

فهاد الواد الحار، حرفيا ومجازيا حيت كان هالكنا «بوخرارو»، ما يمكنش لطفل صغير بحالي يبني حياة سليمة. تانعرف فقط جوج من الجيل ديالي للي وصلو للكاطريام - لقديمة. أنا واحد من هاد الجوج. البقية اغلبهم خرجو من المدرسة قبل من الشهادة.

واخا تكون كيفما كنتي، الدرب تايلعب ليك بقوة على الغريزة ديال الصراع من أجل البقاء. أي ضعف يقدر يبان عليك، تاتولي ضحية. شحال من واحد مشى فيها مسكين وكنت حاضر. شاركت بالرغم مني فمجموعة أعمال لاأخلاقية، بلا ما نقولها هنا حيت خايبة تا للمعاودة.

الدرب كان مفرق لجوج أقسام، بينهم حدود وهمية. الشق اللي قريب للشانطي، كانو فيه جوج عائلات متوسطة الدخل، عايشين وسط بحر ديال «علي زاوة». ربما وجود هاد جوج عائلات قدر يلطف الأجواء نوعا ما. واخا كانو تايوقعو المصايب تما، ما عمر الحدة ديالهم ما كانت تاتوصل لداكشي للي تايطرا فالشق ديالنا، شق ولاد «المرجة».

تا فالتشمكير والتشرميل وتخراج العينين، كنا واعرين عليهم. هادشي كامل كان تايبان مزيان فرمضان، مين تانديرو عليهم غزوات، يتخللها الضرب الجماعي والجرح، بل والاعتداءات الجنسية أحيانا.

للي تفرج ف «Game of Thrones» عارف شنو كاين مور السور، كاين الهمج. نفس القضية كانت عندنا. حدا المرجة كاين سور، بحال الأعراف، طويل وعالي - كان تايبان لينا عالي حيت كنا براهش. مور هاد السور كاين واحد النوع مختلف ديال البشر، حفاة عراة، ديما هازين لعصي وبونقشة، والسلام عليكم ديالهم هي يشير عليك بحجرة ولا يحرش عليك كلب مسعور.

تا واحد ما عارف منين تايجيو، وشنو تايديرو. الحاجة الوحيدة اللي خصك تعرف، هي الفرار الفرار يلا زغبك الله نقزتي السور، وكانو هوما تما!

عبد الرحيم، للي قتل مو وتشد فيها عشر سنين دالحبس، كان هو القدوة ديال الشباب. دري واعر، ما تايزعم عليه تا واحد. واخا يشعل العافية فالديور، ما كاينش اللي يوقف ليه. صعصع كبير. قليل فاش تايستعمل العنف، ولكن مين تايستعملو تايولي حديث الدرب لشهور. كانت عندو كاريزما خطيرة. واقيلا الإعجاب ديال الشباب كان كذلك حسد، حيت عبد الرحيم كان جايب روحو مع واحد «الميلف» خدامة فالعسكر، قليل فاش كنا تانشوفوها. ديما تايسيفطها العسكر لشي قرينة. كانت مهلية فعبد الرحيم، مسكناه، ملبساه، موكلاه، «موكلاه» ومشرباه.

عبد الرحيم تايبقا بوحدو مين تاتمشي، آرا برع، بائعات الهوى وما جاورهن. واحد النهار سكايري تالف لاحتو الأقدار الحمقاء لدربنا، ومع زهرو خاري، بدا تايعربط قدام الشرجم ديال عبدو - اللقب ديال عبد الرحيم، خرج ليه خونا خسر ليه الفك بجنوية، ولا فمو يدخل دلاحة.

ماريا كانت هي اللي مكلفة بالحاجيات «السيكسوالية» ديال الدرب، ولكن ما كانتش تاترضى بأي قندوح، خصوصا مين زارها واحد المرة فريد القنيطري وتزادت ليها ضلعة. فريد كان مغني، تشهر واحد الوقت ومن بعد طفا. ماريا تا هي ما كان تايزعم عليها تا واحد، حيت مقدم الحومة كان تايدير ليها «قدموا لأنفسكم». لعيالات ديال الدرب كانوا تايديرو معاها فوق بخير، حيت كانت عندها علاقات حميمية مع السحارات. للي بغات الزواج، للي بغات

لولاد، للي بغات الزهر، اللي بغات تكوفر راجلها، تاتمشي عند ماريا وتايجيب الله التيسير.

مقابل مع الدار د ماريا كاين الفران دلحومة. تايخرج الخبز بحال البيتزا. المشكل هو أن مول الفران «با العلمي» كانت عندو موهبة عجيبة فاختيار الخدامة.

ما عمرو خدّم شي واحد وماطلعش «psychopath».

من بين الجرائم اللي وقعات فالفران، واللي عاقل عليها مزيان، هي جريمة اغتصاب جماعي لسعيد ولد حفيظة. دار حفيظة كانو مازال ما سخنوش بلاصتهم فالدرب، يالله حطهوم الكار الأخضر من سيدي يحيى. ولدهم سعيد عندو إعاقة، تايهدر بصعوبة وتايمشي عوج.

الجريمة وقعات فأواخر شعبان. الناس بداو يسيفطو الطحين وكاوكاو يتكّرمل فالفران، باش يصوبو الزميطة - السفوف. المجرمين اللي خدامين فالفران، بانت ليهم الضربة فسعيد، وبداو يلوحو ليه الصنارة بالكاوكاو. سعيد هبيل تايموت على كاوكاو مهرمش، بقا تابع الكاوكو تا طاح فريسة بين يديهم واحد العشية. سدو الفران وطيبوه على مهل.

حنا ما فراسنا والو، تا تانسمعو حفيظة تاتولول فالدرب: «ولدي طرطقو ليه الباليزة! ولدي فلعصوه! ولدي شركّوه!»

المصيبة، هاد الدراري ديال الفران كنا ديما تانلعبو معاهم الكارطة فالفران، تا هادي وحدة نجيت منها.

«خَنَانَة» - بفتح الخاء والنونين - كان هو صديق الطفولة بامتياز. «خنانة»، حيت الخنونة ما تاتفارقش نيفو. عروبي مقطر، مو سميتها الباتول، كانت معروفة فالدرب أنها فرعات راجلها بالتوكال، ولا بحال «الزومبي» رقيق كي المسمار، وديما غادي جنب الحيط، ما تايهدر مع تا واحد.

«خنانة» هو العشير الحقيقي، أي فكرة اقتارحتيها يديرها بدون تردد، قمة العبث. باع معايا «ميكا صاك»، كرواصة، الديطاي، مشا معايا لأخطر الأماكن فقنيطرة. داك الصديق للي تاتعرفو فوقت الحزة. شحال من موقف بين فيه «خنانة» على شجاعة لا مثيل لها.

كنا راجعين واحد النهار من فيلم «إيروتيك»، إباحي، دزنا من واحد الدرب حدا الأطلس - حي فقير فقنيطرة. الصبيان تما غي ما عطاهم، دارو جيش وهجمو علينا.

أنا عرفت القضية حامضة بديت نرغب ونزاوك. «خنانة» بدا يحتي على الحجر ويشير. قلت صافي ليوما يفنيونا، ولكن العكس للي وقع. الشجاعة والإقدام ديال «خنانة» خلعوهم وبداو يعلقو. واحد المنظر «سوريالي»، شي عشرين برهوش تايكريط و«خنانة» تابعهوم بالطوب.

للأسف ما دامتش العشرة، تفارقت مع عشيري نهار حصلو باه فالعروبية تايسلخ الحنش على إشهار ديال Sunsilk. شدو قال ليه وليتي راجل دابا، فرشخو عمود وزوجو بنت عمو. من تما وهو عايش مع عمامو فالعروبية وانقاطعات الأخبار عليه.

الدرب هو الحياة والحياة هي الدرب. المثل المغربي تايقول للي ما رباوهش واليديه يربيه المخزن، أنا تانقول يربيه الدرب للي كبر فيه.

الفصل الثالث

الدار



تجمعنا بحال الدجاج فدار أختي، دار ما مفهوماش واخا تبغي تفهم. مستحيلة رياضيا. دار فأكبر جزء ديالها ما عندهاش السقف، بحال يلا عايشين فالآثار ديال شي إمبراطورية قديمة. لبني ما كملوهش، ودفعو الدار للكراء، مع وعد كاذب أن البناية غا يجيو يسدو الثقبة السيمانة الجاية.. الشهر الجاي.. العام الجاي.. القرن الجاي.. يوم القيامة..

جوج بيوت «ديكابوطابل»، كوزينة ضحكة والواد الحار، أقصد الطواليط. أختي عندها الفكرة الخايبة ديال بيت الضياف. ضروووري يبقى واحد من جوج بيوت غير صالح للاستعمال. عادة قبيحة ما عندها تا معنى. «نورمالمون» الدار كلها مكان للعيش، ماشي متحف تايتسنى الزوار.

ما عمري حملت الزواق والرياء والنفاق ديال المغاربة. بيت الضياف، تسلف وتكلف باش تكرمهم، يحط ليك شي واحد كاس دلعصير خاصك تشرب غير نص الكاس باش ما تبانش جيعان. ولكن هادشي كامل حاجة وتجي خالتك وال troupeau ديالها يدوزو معاكم الصيف، دون سابق إنذار وبدون

أخذ الموافقة، حاجة أخرى. الكارني ديالِ با براهيم مول الحانوت تايوليو فيه النوامر كثر من المعادلات دفيزياء الكَمّ.

وبعد الجهاد كامل للي درتي معاهم، والهم والغم والنم، تاتسمع الهدرة على ودنيك. المغربي ديما تاينافق فالوجه، ويفرعك فالظهر.

البيت لي بقا هو غرفة الزوجية، يعني حنا المغضوب علينا، منا للدص فالمراح، للي كون ما كانوش الحيوط دايرين بينا، بحالو بحال الزنقة. لمراح كان فالمنطقة الخطيرة ديال ثقب الأوزون. منك للغربي. الجسد ديالك تايولي بحال مطعم وجبات سريعة للحشرات الضارة للي تاتفرخها المرجة، وعلى رأسها سراق الزيت الطائر. غير بسباب هاد بوجناح تقدر تفهم علاش الله خير الماكرين. تاينزل علينا بحال الجراد للي نزل على فرعون. ما تايتسوقش لبنادم ولا أي حاجة فطريقو، ضخم الجثة، وعزييز عليه العينين. فبعض الليالي الصيفية والله لا نعستي!

داك الشوية للي ناقص باش تكره النهار للي تولدتي فيه، تاتكملو شنيولة، واحد شنيولة تعرضات لطفرات جينية، كون عرفوها علماء البيولوجيا، كون فتحو مراكز بحث مرجاوية.

سراق الزيت الطيار وشنيولة المجنونة، هادو غير الحجاج للي تايزورونا يوميا، أما مالين الدار فحدث ولا حرج، ولكن بلا ما نعيفو بعضياتنا. المهم الدار كانت فيها دائما الحركة، سواء كنا فيها ولا ما كناش.

أختي وبعلها كان هذا جهدهم، حزقة لاروب للي تايشد الراجل، خصها تخلص الكرا والما والضو وتوكل ستة ديال الأفواه. بحال هاد العيشة فين غا تخلي شي فرصة لشي حياة زوجية عادية. الرومنسية تنتحر.

واللات ما عرفت كيف كانو تايقضيو حاجتهم الهرمونية فغرفة شبه عارية، وفالجهة الأخرى دلحيط قشلة ديال اللاجئين؟

كنا تانخلصو 200 درهم ديال لكرا، حنا كنا تنخلصو، أما الجيران، كاين للي ما خلصش كثر من عشر سنوات، وفين ما تايجي مول الدار يطلب فلوسو، تايخرجو ليه كلهم هازين الجناوة والمقالي.

تعيا ما تفكر وتتفهم الحالة ديالهم. واش بنادم ما عندو ما ياكل ويخلص لكرا؟ باهم كان كبير فالسن، ومازال خدام كارصون فواحد القهوة ديما خاوية. تايبان ليا كان داير ديك الخدمة غير سبة باش ما يمدش يدو للناس فالزنقة.

ولادو كلهم خرجو من المدرسة قبل الشهادة ودارو carrière فالجريمة. ربما الحاجة الوحيدة لي نعاتب الواليدين عليها هي كثرة الولاد، واخا عارفين أنهم غير تايتعداو على الوقت.

كنت تانجي من المدرسة ما تيكون تا واحد فالدار - ما عاطينيش الساروت، حيت يلا لقيت الدار بوحدها تانرزيهم فالصابون البلدي - تانمشي عند الجيران ناكل الخبز غامل! تايرشو عليه شوية دالزيت الرومية وتايكْرملوه. أول مرة علفت معاهم داك الزمر، فهمت بأن كلشي نسبي فالحياة. شحال ما يسحاب ليك راك عايش فالطوب دلقوادة، كون على يقين أن كاين شي ناس ما كرهاتش تكون بحالك.

المأكل ديالنا كان معتامد بشكل أساسي على المواد التالية: أتاي.. وأتاي.. وأتاي.. نقدر نكون شربت شي ألف برميل ديال أتاي فصغري. ماشي أتاي الزوين لمشحر. أتاي البايت يومين وثلاث أيام، تا اللون ديالو تايولي كحل ثم أحمر ثم وردي. كاع الحاجات للي تايتعتابرو عاديين فالنظام الغذائي ديال الناس، كنت غي تانسمع بيهم. البيض، اللوز، مشتقات الحليب، البانان والفواكه عامة واللائحة طويلة.

الزوين فالدار المنكوبة ديالنا هو أن تا واحد ما زعم شي نهار يشفرنا. الشفرة عندنا فالدرب كانت نشاط عادي ومقبول أخلاقيا. تقدر تدخل لدار الجيران وتلقاهم تايطيبو بالكوكوت ديالكم.

حنا ما عمرنا تسرقنا حيت ما كاين ما يتسرق. أصلا يلا كنتي شفار وحفات ليك تشفرنا، غا تقتلك غير الروايح ديال بوخرارو. تتسى كاع علاش هرستي القفل ودخلتي.

الواد الحار كان مشكل دائم لا ينتهي. حنا ولاد المرجة كنا مولفين، لدرجة ختارعنا شحال من لعبة كان بوخرارو جزء لا يتجزء منها.

مرة فالعام تايتشاركو شي عشرة ديال الجيران فثمنمية دريال، وتايجيبو شي دري من الموقف، مْقيِّي عليه الزمان، يسّرّح لقوادس. داك النهار تايطلع مزوهر. لحفير والسلوكة والخرواني، تايفتحو مجالات جديدة للمغامرات البَلْهرسِيّة.

غظيفة، مولات الدار، عروبية مخززة من سيدي سليمان، كانت تاترشق ليها تاتجي تعصر علينا النهار كامل. أختي كانت تاتصبر على عذابها باش ما

تزيدش علينا لكرا. الوقت لي تاتدوز معانا كلو نكير و أوامر: طفي الضوا!، سد الباب!، خرج شوف شكون تايغوت!.. ما تاتسكتش.

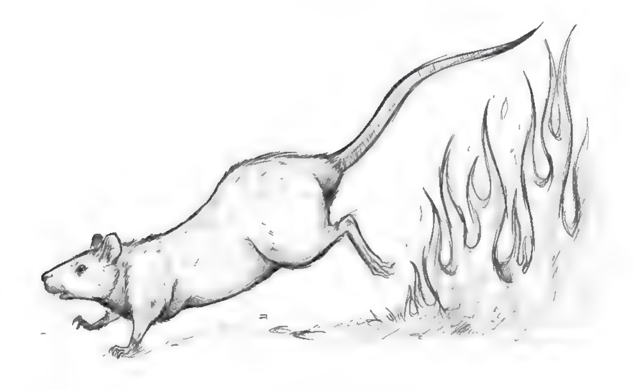
نهار كرات لينا الدار، بززات علينا نذبحو فروج لصحاب لمكان. باقي عاقل على الدمايات والجهل والتخلف. غظيفة ما تاتولدش وتايموتو ليها الرجال. داك الحنان دالأم للي فيها، كانت تاتفرغو فيا، ديما قاجاني تاتقول ليا «حُبِّينِي!» - بضم الحاء وشدة مكسورة على الباء.

مين كبرت شوية هاد فهمت المعنى، للي هو بوسني بالعروبية. بغات بوسة. يمكن بسبابها ركب فيا فيروس لمِّيمات، تا ديتها ألمانية.

الدار فيها بزاف دلمصايد للي تقدر تقتلك أو تتسبب ليك فعاهات مستديمة، أكبر مصيدة هي السلوكة ديال الضو للي كانو تايتعراو كثر من ميا خليفة. يا ويلك يلا قربتي من شي سلك! بحال يلا خدامين بالكهرباء اللاسلكية للي كان تايحلم بيها Tesla الله يرحمو. غير يوقع شي انقطاع فالكهرباء، عرف بأن شي واحد خوّرو الضو.

الفصل الرابع

المرْجَة



المرجـة هـي الأصل، والباقـي تقليـد. المرجـة مدرسـة، المرجـة مطعـم، المرجـة ترفيـه، المرجـة رياضـة، المرجـة هـي المغـرب ديالـي، المرجـة هـي كل شـيء، المرجـة أسـلوب حيـاة.

شـحال مـا عـاودت علـى المرجـة، مـا غاديـش نوفيهـا حقهـا. النـاس للـي مـا كبـروش معاها/فيهـا، تاتبـان ليهـم غيـر كًلتـة كبيـرة ديـال المـا الخانـز. هـي فعـلا حفـرة كبيـرة، المـا ديالهـا كحل زحل بحـال القطـران، مـا يمكـن تشـوف تـا خصيـة، والريحـة تاتعطعـط بحـال ريحـة المـوت. أنـا متأكـد أن شـحال مـن جثـة مدفونـة تمـا.

المرجـة عامـرة بجميـع أنـواع القـاذورات والحيوانـات - داخـل فيهـم بنـادم - والحشـرات الضـارة. buffet ديـال الوسـاخة والأمـراض.

منيـن نبـدا وفيـن غـا نسـالي؟ كايـن شـي تجـارب فالحيـاة صعيـب تترجـم لكلمـات. خاصهـا تتعـاش.

نهار كان راجل أختي تايذبح الفروج للجنون ديال الدار، عشت أول تجربة مرجاوية. حب من أول نظرة. العشوائية «طوطال».

كان فديك الوقت عبعالي هو صعصع ديال شباب الدرب. إيبه عبعالي اللي منو جاتني l'inspiration ديال شخصية عبعالي.

عبعالي كان ولد وحدة من دوك العائلات الجوج للي مستواهم المعيشي حسن منا كاملين. باه كان تايخدم فوزين السكر وبالتالي حياتهوم ما كانتش مْسّوسَة بزايد. عبعالي هو التجسد ديال «الإستثناء يثبت القاعدة». واخا كان عايش فجهة الشانطي - الجهة الأقل تشرميلا - كان قلبا وقالبا إبن المرجة. كانو دارهوم تايشوفوه غير فالمناسبات، وتا فالمناسبات تايدير غير الزبايل.

عبعالي يستحق يوميات ديالو بوحدو، ولكن غير باش تفهمو هاد العاهة الاجتماعية، غا نعطيكوم «الشانتيو». عبعالي، بالإضافة أنو كان أكبر شفار فالدرب، كان مجرجر باه فالكوميساريات بسبب الإعتداءات الجنسية «المريضة»، ربما أقود وحدة هي للي دار فولد جارتهم الصغير. داه معاه للمرجة قال ليه نعلمك حراسة المرمى. مين وصلو تما دفعو طيحو، هتك ليه العرض بعصا ديال الشطابة، وحاول ينّيّقو - يغْرّقو - فالمرجة. جاب الله كانو شي جواد دايزين من تما وبان ليهم لخواض.

عبعالي قال ليهم كان غير تايعلمو كيفاش يتلاح على كورة. واخا تدير مجهود خرافي باش تيق عبعالي، صعيب تسرط ليك حارس مرمى تايتلاح على كورة عريان ومخشية فيه شطابة! البرهوش عاود القصة كاملة من بعد.

شحال ووالدين عبعالي تايزاوݣو ويدهنو السير باش خرجات العاقبة بخير، وبقا عبعالي حرا طليقا، باش يدير جرائم أخرى، وشلّة هوما للي دار.

عبعالي كان هو العقل المدبر ديال كل عمليات المرجة. نهار ذبيح الفروج، كنت أنا مازال تالف. يالله تعرفت على خنانة و عزيز ولد «ال*حبة»، ماشي حيت عزيز خايب، مو كانت تاتكمي الݣارو وكلشي تايقول عليها «ق*بة». وحيت حنا البراهش زوينين ومربيين، كنا تانسميوه ولد «ال*حبة». مع الوقت ولات عادية، لدرجة أن عزيز، يلا عيطتي عليه عزيز، ما يدورش بكثرة ما ولف اللقب ديالو الآخر.

عزيز كان مريض بالقلب، رقيق وتايسخف بالخف. «نورمالمون» دري بحالو كان من المفترض الإنتقاء الطبيعي اللي كان عندنا فالدرب يقضي عليه، ولكن

للي شفع ليه هو أنه كان تايسرق لمو Winston. كان هو المزود الرسمي ديال الكًارو.

اللقاء مع عبعالي فداك النهار كان مهم، وأثر فبزاف دلعيبات فحياتي. عبعالي كان طويل علينا، هو الوحيد اللي تايلبس ال Levi's. تايحاول ديما يكون أنيق، هدرتو 99 فالمية - تقدر تكون غير 90 فالمية ولكن أنا مغربي خصني نقول 99 - على الجنس. ماشي داكشي للي على بالكوم ديال الهدرة العادية على المرود والمكحلة. عبعالي، كيفما عرفتو من الجرائم ديالو، دري «ديفيرو» - مختلف

- عندك كورة؟

أول جملة سمعتها منو. قلت ليه لا ما عنديش وهو يقول لينا ياالله نلعبو «تورنووًا» - مسابقة، ما فهمت والو

- شنو؟
- تاتلعب كوووورة؟
- إيه
- ياالله تلعب معانا
- فين؟
- المرجة
- المرجة؟
- ما تاتعرفش المرجة؟
- لا
- فين ساكن؟
- دار غظيفة
- نتا ولد ماما غطيني!
- شنو؟

عبعالي كان بحال هاكا - ما بيكًمَّعش - دماغو مفلاشي. غير طلبت منو يشرح شنو تايقصد، بدا تايعاود قصة جنسية، واحد السيدة راجلها «كونونير» colo-

nel، كان راجلها غي تايمشي للخدمة، تاتدخل قرد يجامعها، وهي تحمل بقرد وراجلها قتلها.

يلا جاتكم هاد القصة فشكل، راه هذا غير مثال من آلاف الأمثلة. عبعالي كان ماكينة ديال قصص الخليع الجنسية.

وصلنا للمرجة، هاد فهمت القالب. ما كاين لا كورة لا ستة زريعة. غير مدورين عليا السمطة باش نمشي معاهم يوريوني العالم الموازي للي كانو عايشين فيه.

كلشي بدا ينصل، بقاو غير السليبات والميشلانات - صندالة بلاستيك مثقبة معروفة كذلك بإسم Nike شراجم أو حلومة. عبعالي عطا صافرة انطلاق الألعاب الأولمبية المرجاوية.

الغطس والقفز والتراشق بالحجارة ومطاردة الطُّوبَّات. فالأول تدهشرت بقيت غير حال فمي، ولكن الدهشة طارت بعد دقائق قليلة، لأجد نفسي بتباني (بسليبي) الأبيض بين أحضان المياه الخرائية القاتمة، لتبدأ حياة جديدة في المسيح.. آآآه أقصد حياة جديدة في المغرب. تقويم جديد. الحياة قبل المرجة والحياة بعد المرجة.

كلشي مختالف مين تاتكون تما، تا الوقت مرون. تقدر تدوز يومين بلا نعاس، تجيك بحال يلا دوزتي غير نص نهار.

الغطسة الأولى ديالي كانت هي المعمودية، وليت جزء من مرجاوة، عائلة جديدة، كلشي فيها مباح، والمرجة هي للي جامعانا وتاتوفر لينا أي حاجة احتاجيناها، بغيتي تلعب كاين فين تجري، تعوم، تتعلق، تحنقز، تقتل الحيوانات أو تصيدهم، كاين فين تخرى، فين تبول، فين تستمني وفين تفرح لقريد إن استطعت لذلك سبيلا. بغيتي تاكل كاين العشلوش غير مشتت، زائد أعشاب أخرى بنينة ما عمري عرفت سميتها. كيفاش بنينة وهي كابرا فالخماج؟ علم ذلك عند ربي في كتاب. بغيتي تدابز كاين جميع المستويات فالمحاربين، من عزيز ولد الق*بة تا للهمج مور السور.

زائد هاد الخيرات المرجاوية للي كنا تانستافدو منها يوميا، كانت المرجة مكان اللقاءات الموسمية. فعاشوراء مثلا، خرات على جد بوهم «الطولوريات» - للي تايصلحو إطارات السيارات. تانتلاقاو مع ݣاع الأوس والخزرج من الدروبة المجاورة، وفين ما كانت شي طوموبيل على برا تا ندݣدݣوها. القمة ديال اللقاء

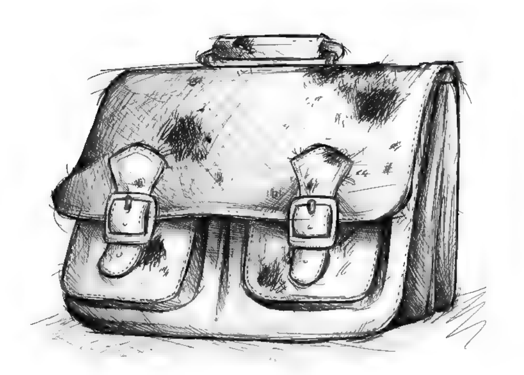
هـي شـعالة، ولكـن نسـاو ديـك شـعالة ديـال بلعانـي. الشـعالة ديـال المرجـة كانـت تاتجيـب البوليـس والبومبيـة. تانجمعـو عشـرات الروايـض وتانشـبكوها عوافـي. العافية كانـت تاتفتـح لينـا البـاب للعبـة مـن ألعابنـا المفضلـة. تانديـرو دوارة كبيـرة علـى الشـعالة، كل واحـد فينـا هـاز وحـاط حـداه كمشـة دلحجـر لكبيـر. الطوبـات تايخافـو مـن العافيـة، تاييـداو يخرجـو بحـال يأجـوج ومأجـوج. أرى حالـك ديـك السـاعة. تانديـرو ليهـم كيفمـا دارو الصحابـة لماعـز بـن مالـك.

العجيـب فالمرجـة هـو أنهـا تاترافقـك فحياتـك كاملـة، كل مـا كبرتـي فالسـن، كل مـا تاتلقـى فيهـا شـي حاجـة مناسـبة ليـك. المرجـة مـا عمرهـا تخونـك.

تاتكبـر شـوية، تاتولـي تميخـل علـى النّحيكـة - الأسـلاك النحاسـية - والقراعـي ديـال الـرّوج، تاتولـي تسـتعمل المرجـة برتـوش أو سـكن مؤقـت، والشـباب للـي تأهلـوا ومشـاو بعيـد فالإجـرام ولات عندهـم المرجـة هـي القاعـدة، هـي «تـورا بـورا» ديالهـم للـي مـا يقـدرش الأمـن يلاحقهـم فيهـا.

ربعطـاش سـنة مـا مشـيت للمغـرب. يـلا بقيـت بالعمـر ومشـيت، أول مـكان غـا نـزورو بعـد قبـر أختـي، اللـي ماتـت العـام للـي فـات، هـو المرجـة. وصلاتنـي أخبـار أنهـا تبـدلات، كيفمـا كلشـي تايتبـدل، ولكـن مـا تايهمنيـش. واخـا يبنيـو فـوق المرجـة ألـف حيـط، غـا تبقـى المرجـة هـي المرجـة، فقلبـي وذكرياتـي.

الفصل الخامس
المدرسة



المدرسة كانت، وغا تبقى هي «الإستثناء» فحياتي. أنني نجحت فالمدرسة، حاجة ماشي منطقية فالظروف والبيئة للي عشت فيها. فالمحيط للي كنت فيه، عندك ثلاثة ديال الاتجاهات ممكنة لحياتك: يلا عندك الزهر تايهرس الحجر وتايدرع فالبحر، غادي تتعلم شي حرفة كيفما كانت، وغا تعيش فقير مكحط حياتك كاملة. هادشي يلا كنتي محظوظ. الإتجاه الثاني هو الإجرام بجميع أنواعه، والاتجاه الثالث هو تعيش بحال الميكروب، عالة على الوالدين أو فرد من أفراد الأسرة، وتبقى تاتمص فالدماء ديالهم تا يموتو، وتمشي من بعد تقلب على ضحية جديدة، ويلا ما لقيتيش، تاتبدل الوجهة ديالك للإجرام. هادشي للي كاين!

كيفاش خرجت أنا من الجنب، الفضل ما تايرجعش ليا، الجينات دلواليدين أكيد فيهم شي بركة ديال الذكاء، ولكن العامل الأهم هو أختي. بلا أختي كون راني اليوم مجرم أو حشرة ضارة. أختي كانت هي «المخلص».

أختـي كانـت قرَّايـة، السـبب هـو أن الواليـد كان، كيفمـا قلـت، درجـة كبيـرة فالعسـكر، وكان خاصـو بنتـو لكبيـرة تكـون مجهـدة فالقرايـة، ماشـي زعمـا غيـر تجيب مزيان فالنقـط وتنجـح، لا! خصهـا تكـون الأولـى - ديـر جـوج سـطورة تحـت هـاد الأولـى. وفعـلا كانـت دائمـا الأولـى، باسـتثناء مـرة وحـدة جـات الثانيـة، شـدها الواليـد فرشـخها عصـا. لعصـا بديك الطريقـة أصـلا لا أخلاقيـة، وفالسـياق ديـال أختـي، مـا عندهـا تـا معنـى.

ديـك اللُّولَـة ديـال الدراسـة والتفـوق بقـات فيهـا واخـا مـات الواليـد، وتـا ميـن تزوجـات مـا قبلاتـش تخـرج مـن القرايـة وتقابـل الـدار. أختـي كمـلات قرايتهـا ووصـلات لأعلـى الشـهادات، ولكـن ماشـي موضوعنـا هـذا، نرجعـو للماضـي والمدرسـة كيـف دوزتهـا أنـا.

كنـت عايـش بحـال يـلا عنـدي انفصـام فالشـخصية، وقـت المدرسـة تاندخـل ف»عالـم جديـد يناديكـم»، طفـل مجتهـد، تانجلـس فالطبلـة الأولـى، وديمـا هـاز صبعـي سـتاد سـتاد سـتاد! غيـر تانرجـع للـدرب، تـا نتحـول لكتلـة بيولوجيـة عشـوائية. أصدقـاء المرجـة مـا كانـوش عارفيـن الشـخصية المهذبـة ديالـي، وحرصـا علـى سـلامتهم الروحيـة وسـلامتي الجسـدية، مـا كنـت تانقـول ليهـم والـو.

اللـي عاونـي بـاش نخلـي حيـاة المدرسـة سـرية، هـو أننـي مـا كنتـش تانقـرا فمدرسـة «مرجاويـة»، كنـت تانقـرا فمدرسـة الشـهداء، للـي ولات دابـا شـي قيـادة ولا مـا نعـرف. عـلاش الشـهداء؟ حيـت ميـن رحلنـا للقنيطـرة، كان العـام الدراسـي بـدا، وأختـي عندهـا شـي صاحبتهـا تاتعـرف نسـيب خـو شـي معلـم تمـا، هـدر مـع المديـر وقبلونـي.

أختـي كانـت تاتزيـر معايـا بحـال كيفمـا الوالـد كان تايزيـر معاهـا، وكان فيهـا واحـد الديفـو مقـود، هـو أي حاجـة احتاجيتهـا، تاتقـول ليـا سـير جيبهـا مـن الجوطيـة. تاتدبـر عليـا فسـتيلو وقلـم ودفتـر 24، ولكـن أي حاجـة أخـرى خاصنـي نجيبهـا مـن عـرق كتافـي.

الحالـة ديالـي كانـت ديمـا مرَوِّنـة المعلميـن للـي دزت علـى يديهـم، مـن ناحيـة تانجيـب أحسـن نقـط وتلميـذ خَلُـوق مثالـي، ومـن ناحيـة أخـرى يعيـاو مـا ينبحـو واللّه لا جبـت «livre» ولا «قرائتـي». زيـد علـى هـذا «الكاروسـري» - الجسـم - مـا موالمـاش الموطـور. «مرجـاوي» أصيـل مـن بـرا، إنسـان جميـل مـن لداخـل. تانتفكـر واحـد النهـار المعلـم ديـال العربيـة، ضرباتـو شـي نفحـات إيمانيـة، وبغـا يديـر لينـا درس ف «النظافـة مـن الإيمـان»، وبـاش يجمـع شـي مـع شـي تـا لمـول

الشي، قالينا للي نقي فالخارج، تايكون نقي فالداخل. وباش طبز ليها الموٌّمو د العين، بدا تاينوّض التلاميذ المجتهدين قدَّام السبورة واحد بواحد، وتايقول شوفو التلاميذ للي تايجيبو نقط عالية، شوفو شحال نقيين وحوايجهم زوينة. نسا، أو تناسا خونا، أن مول أعلى نقطة مازال مريح مع الأوباش. شوية تا بغا يحبس من التنواض، الشوفة ديالو تلاقات مع شوفتي، وهو يكره حياتو والنهار للي قرر يدخل فيه للتعليم. ݣاع هاد الهيت للي كان تايهيّت، مجرد الوجود ديالي فالقسم ضربو ليه فالزيرو. هاهو الواعر فالقسم لابس ميشلانة - حْلّومة - خضرة، عامرة بغيس المرجة، سروال قَطيفة تحوّل بقدرة قادر إلى سروال ديال الثوب بكثرة الاستعمال والوساخة، وتريكّو ليموني مْشُكودَر. لازين لامجي بكري، بحال هادوك للي تايديرو تصاورهم فالصفحات ديال الجمعيات الخيرية.

حسيت بالمعلم دخل فمعضلة أخلاقية بينو وبين راسو. واش يتجاهلني ويكمل بحال يلا أنا ما كاينش؟ واش التلاميذ ما غا ينتابهوش؟ واش يلا نوضني غا يبان التناقض؟

بعد تفكير عميق وصمت مريب، نوضني المعلم كآخر واحد، تخشيت بين المجتهدين، بحال شي واحد فيديه «لاكْريس» طالع للطوبيس.

الإبتدائي داز بسرعة خيالية، وكانو فيه بزاف ديال القصص للي بوحدها خاصها جزء ديالها. نعطيكم مثال. واحد اليوم مشؤوم خانز بالبيان. ثلاثة ديال الدراري خّوت، كلاو الحلبة، وعلى حساب داكشي للي وقع، ربما ضربو سطل منها. خرجنا جرينا فالاستراحة، لخوت بداو يعرقو، والروائح الزكية بدات تاتغزو المدرسة. رجعنا للقسم، المعلم ضربو البخار المشع، وجهو تبدل. بدا يغوت: شكون الحزاق؟ عيا ما يسول والو، شوية فهم أن ما يمكنش تكون حزقة هادي، واخا يكون حازقها المسيح الدجال. «شكون خرا فسروالو؟» عيا ما يسول والو. بقا ليه حل واحد، حيت كان غا يسخف بالريحة، هو يدور علينا واحد بواحد، يشمنا من اللور. مع العرق، والأغلبية ديالنا مْطوّطين par nature، ونيفو كلا الدق، ما قدرش يطيح فصحاب الفعلة. نسيت ما قلتش ليكم أن هاد المعلم كنا مسميينو «الشينوي»، حيت لعصا ديالو ديال «بريسلي» Bruce Lee.

سد الباب ديال القسم، دور الطوابل على شكل دائرة، وبقينا الوسط بحال نعاج العيد. «الشينوي» بدا تايفرغ علينا جميع المكبوتات والعقد النفسية للي

عندو بالضرب. لغوات والبكا والتّزاديح. كاين للي هرب من ركلة طائشة، ودخل فالقنت ديال طبلة عاود ليه ترتيب مصارنو. العملية الإنتقامية نجحات مين نقز واحد، قال ليه بصوت فيه حنحنة البكاء، ستاد! ستاد! ولاد لعروسي كلاو الحلبة! «الشينوي» جبدهم على جنب، وتأكد من «الجريمة». هنا غا يبدا عقاب جديد، للي تاهو كان تايبان عادي فديك الوقت. الخوت تحامينا عليهم، حيدنا ليهم الصنادل وهزينا ليهم الرجلين، هلكهوم «الشينوي» بالفلقة. من بعد لصق ليهم ودنين كبار ديال الحمار، مصوبين بالكارطون، وبدا تايدورهوم على الأقسام باش يضحكو عليهم التلاميذ ديال المدرسة. فهاد الوقت كامل ديال عقوبة لحمار، خاصك تقوس ضهرك وتحني راسك باش تبان فعلا بحال لحمار. ومازال تانسولو كيفاش تايخرجو عندنا كوارث اجتماعية.

نجحت فالشهادة ومشيت للإعدادية، هنا غا تبدا المشاكل الصحيحة، فالدرب، فالدار وفالمدرسة. فالدرب حيت ما بقيتش قادر نخبي القراية، لأن كاع «مرجاوة» صحابي كانو سالاو مع الدراسة، وبداو حياة العبث. يعني ولاو شبه مستقلين على ديورهم. كيفاش أنا مازال تانقرا؟ واش سايط ليا الريح فالراس؟ جاب الله دبرت على بريكول فحانوت ديال الحوايج، كنت تانمشي ديريكت من المدرسة لتما، تا تانسدو فالليل. ثلاثين درهم فالسيمانة، تاتمشي كلها فزنا النظر مصحوب بمعقودة وربع خبزة بالحرور. هاد الخدمة عطاتني غطاء على المدرسة، بل المضحك هو أن بعد عامين أو ثلاثة ديال الإعدادي، واخا وليت نقول للدراري مازال تانقرا، ما تايتيقونيش، وبقاو على ديك الحالة، لدرجة شافني «عبيسيلة» - عبد السلام - هاز الدفاتر واللعيبات حدا الإعدادية وخرا عليا بالضحك، قال ليا تاتلوط هنا. عييت ما نقنع فيه راه تانقرا هنا، وتقول واش بغات تدخل ليه لراسو.

المشكل مع الإعدادي هو رفقاء السوء اللي تاصلو بيا فالسنة الثالثة، يعني عام قبل من «لبروڤي» - الكاطريام. طبعا كان عندي دائما نفس المشكل، لكتوبة ما تانشريهمش. العام الأول والثاني دازو بسلام، العام الثالث طحت فأساتذة ما تايرحموش. ما عندكش كتاب، يا إما يجري عليك من القسم وخاصك ترغب وتبكي باش يدير معاك الحارس العام زوين، أو تاتجلس فالطوابل الأخرين فين جالسين للي مكتوبة ليهم فجبهتهم «مضوبل».

«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»، غير الضحك والقسارة، شكون مسوق لشي ماط، شي فرونصي، شي اجتماعيات. ومع الهورمونات

تاتخرج ليك من ودنك، الدماغ ما مساليش يفكر فالعواقب والمستقبل. لأول مرة فحياتي غا نهبط تحت المعدل، وبرقم قياسي. من 15 ل 8! هادي غا تكون المرة الأولى والأخيرة.

أختي مشات تجيب ال bulletin فنهاية الدورة. ما عرفتش واش هاد القضية مازال هاكا فالمغرب. كانو أولياء الأمور هوما للي تايجيبو الورقة ديال النتيجة.

أختي رجعات للدار بحال يلا شافت جن، وجهها صفر وتاترعّد. حطات الورقة فوق الطبلة ودخلات لبيتها سدات عليها. أنا وخوتي كلنا فينا هاد القضية، مين تانغضبو غضب شديد تانسكتو ونقلبو على العزلة.

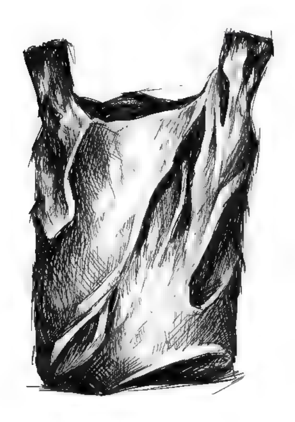
أنا فهمت لبلان قبل ما نطل على الورقة، ولكن ما كنتش تانتخيل 8. قلت ربما 12, 13. الغريب هو أن للي أثر فيا كثر من ردة الفعل ديال أختي، هو شنو قال ليها الحارس العام مين عطاها الورقة. قال ليها: «ولدكم تْفَلّسْ!». ما عرفتش علاش هاد الجملة كان ليها وقع كبير فنفسي.

قدرت نرجع للمستوى القديم فالدورة للي من بعدها، ولكن تصيدت فالماط. ما قدرتش نتبع. السنسلة ديال الرياضيات تقطعات. زݣلت لعيبات مهمين. كتاب عليا نكون أدبي مدى الحياة.

نجحت فالإعدادي ومشيت لثانوية الحي الصناعي وأنا ما حاملهاش، حيت ما فيهاش الألمانية. أختي مشات عوتاني تسول وترغب باش نقدر نتحول لثانوية عبد المالك السعدي. شهر داز ديال القراية، فقدت الأمل، بديت تانتأقلم مع Hi و How are you. الحياة فشكاااال، كون بقيت تما، كون حياتي كانت غا تكون مبدلة تماما. احتمال كبير كنت غادي نبقى فالمغرب، وغا نبقى مسلم.

الفصل السادس

الخدمة



غير تانبغي نهدر ولا نكتب، بحال دابا، على الخدمة، تانتفكر التصويرة ديال الحسن الثاني فواحد لكتاب ديال التربية الإسلامية، راكب فوق تراكتور، ومكتوبة تحت التصويرة: وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

الخدمة كانت ديما مصاحبة معايا. ما نتخيلش راسي ما خدامش، يقدر يركب فيا شي اكتئاب يلا بقيت غير مريح ناشر خصيتاي.

فالدرب خاصك تكون شفار ولا تاتبريكولي باش تعيش، تاشفارت ما قادش عليها، وتا النفس ديالي ما تاتعطينيش نحيد لشي واحد حاجتو. العدل والإحسان تا هي عاونات شوية فهاد السلوك، تانوجه ليها التحية من هاد المنبر.

البزطام ديال أختي ما يمكنش تلقا فيه أكثر من «جدريال»، وديما حاطاه قدامنا تاينش الريح. ما عرفتش واش كانت تاديرها بلعاني، باش تقول لينا دبرو على راسكم القضية حامضة، أو تاتدير التمويه، ويلا عندها شي فلوس راهم مخشيين فالتقاشر والسوتيامات.

أول خدمة خدمت هي «كارانتيكة» - البطاطا والبيض مطحونين ومطيبين فالفران. ما خدمة ما والو. تاتقيل النهار كامل فالغبارية، جامع عليك مرجاوة دايرين على الطاوة، تاتبقى تاتجاهد عين على الطاوة وعين على الزبناء المحتملين، وفآخر النهار تاتدير الحسبة، الجمع والضرب والقسمة، تاتخرج ليك 28 ريال ربح سير خشيها ف..!

مع الوقت بديت تانتقرب من عاشير، البائع الرسمي والوحيد للديطاي، الامبراطور ديال الـﮔارو. عاشير كان كلشي تايحسدو على النعمة للي عايش فيها، تا من دوك الموظفين للي تايجيو لابسين سروال التوب وتريكو ديال الجّاكار يتقداو 2 ماركيز. من الشوفة ديالهم، ما كرهوش كون كانو هوما لي جالسين على الصندوقة تايدخّلو اللعاقة. تكون نتا عاشير، بحال يلا ربحتي فاللوطو. صحاب لكماية غا يفهمو علاش. غادي للـﮔيشي تجيب العشبة، تاتدوز على عاشير، راجع من الـﮔيشي، خاصك باش تفتخ. موقع استراتيجي.

عاشير قنبال كبير، من درجة مسيلمة الكذاب، كنا فالليل مور الطناش، مين تايقل الرواج الماريخواني، تانمشيو عندو يعاود لينا على المغامرات ديالو، والأخبار للي هو بوحدو للي عندو. هاكا تعرفت عليه فالأول، ودهشرني حيت تايعاود القصص الخيالية بثقة فالنفس ديال السياسيين لكبار. كان قليل فاش تايكمل شي جملة دقة وحدة، ديما تايدير شي نترة ولا شي شربة فالوسط، هاد تايكمل. ربما فديك الاستراحات القصيرة فين كان دماغو تايصنع لكذوب. عاقل على واحد الكذبة بلبل لينا بيها البصلة السيسائية. قال لينا أن أول وحدين مشاو للقمر هوما السوفيات، كان تايموت على الاتحاد السوفياتي، ولكن مين قربو يوصلو تسالا ليهم ليصانس وهوما يرجعو.

عاشير طلع ولد الناس معايا، ولى تايخليني نحضي ليه البيزنيس مرة مرة، وتايدور معايا. درت لاباس فواحد الصيف، ولكن لقراية خرجات عليا. السي عاشير خاصو للي يلتازم معاه وياخذ العمل بجدية، ماشي نهار كاين، نهار ما كاينش.

الناس تايمشيو من شي حاجة للـﮔارو، أنا مشيت من الـﮔارو لحوايج أخرين، ما خليت ما درت، جوطية، بلّوط، شامية، كرواصة.. للي طاحت لك فبالك، احتمال كبير نكون درتها، ولكن أصعب التجارب واللي رجعاتني راجل قبل من الوقت، هي غزوات الميكا صاك. العالم للي تاتشري وتبيع فيه الميكا صاك مرييـﮔل. داير بحال السيستيم الطبقي للي عند لهنود.

الطبقة الأولى فيها السلطة بجميع تجلياتها (بوليسي، مردة)، الطبقة الثانية صحاب لحوانت، الطبقة الثالثة صحاب لكرارس - الذين لا حَانُوتَ لهم، الطبقة الرابعة الدراري لكبار صحاب ميكا صاك والطبقة الخامسة و الأخيرة هي الطبقة ديالنا، البراهش صحاب ميكا صاك. حنا هوما المنبوذين les intouchables، بحال شي كلب هاروش أو ضبع عاصر على شي عضمة. كَاع الصهد ديال الصراعات الطبقية للي فوقك تايوصلك مضوبل.

الكليان المثالي هوما لعيالات للي ما هازينش .. معاهم لقفاف. غا تقْدًّا يعني خاصها ميكا صاك. تاتشوفها تاتلصق فيها بحال دبانة لحمار. يلا ما بعتيش ليها الميكة بالزربة، تايشوفوها المنافسين وتايولي كلشي تابعها، بحال شي وحدة خارجة بالبيكيني فمكة. الأطفال بحالك تاتلقا معاهم الحل، أقود حاجة توقع هي ضربة فيا ضربة فيك، المشكل فالكبار، تايجي واحد فيهم تايجبدك من شي مفصل تايمحيك، وتايغوفل على لمرا: بّعّد من الشريفة خليها تقدا! ميكا صاك أ لحاجّة؟

تاتبقى تشوف من البعيد، السبع تايتمتع بالفريسة للي تعبتي عليها. صحاب لكرارس علاقتهم بينا علاقة حب/كراهية. من واحد الناحية تايعجبهوم الحال لمرا تقدا عرام من عندهم، وتلقى ميكا صاك واجدة فاش تهزو. من ناحية أخرى، تانديرو ليهم الصداع مع صحاب الحوانت، وبالتالي مع السلطة. صحاب الحوانت ماتايحملوش صحاب لكرارس حيت تايقطعو ليهم الرزق، تايدورو مع المرود باش يعربطو عليهم. المرود تايشوفو سبعطاش برهوش وبوركابي مخاريين على شي «ڤيكتيم» د ميكاصاك، تايجيو تايدردكو على «الغاشي».

التجربة ديالي مع المرود مايمكن تْخْرّجْ إلا إنسان حاقد على البلاد. أغلب الإعتداءات كانت تاتجي من الخلف، تقرفيدة، ركيل، دفيع، جميع بنص، زرواطة فالضهر.. الضرب كنتي تاتحس بيه أنه انتقامي مَرَضِي. باقي عاقل نهار مشيت لألمانيا، فالعام الأول ضربت دويرة لواحد المتجر كبير تايبيع الأجهزة الإلكترونية، عندهم التلفازات كبار وحاطين «فوتويات»، باش بنادم يز*ل ليه الضمير ويشري، ريحت وبديت تانتفرج، ما يكون دايز غير برنامج على المغرب ف ZDF. للأسف ما عرفتش العنوان ديالو، ولكن بقات واحد الجملة فراسي، للي فاجآتني أن الألمان يقولوها هاكا نيشان، وبكاتني بزز مني حيت فكراتني بالعذاب الأليم للي داز عليا فديك لبلاد ديال النم.

Marokko gilt nach wie vor als herzloser Polizeistaat!

المغرب مازال يعتبر دولة مخزنية ما عندها قلب!

مين كبرت وصحاحيت، وليت تاندبر على خديمات أحسن، لكن المظاهر ديال نكاح كرامة الإنسان كانت ديما حاضرة، الناس للي راس مالهوم الميزان، تايجيو يحيدوه ليهم ويشتفو ليهم على السلعة يخسروها. لعيالات كبار اللي كلاو لعصا بحال البغال، وشرَّاف تصرفقو قدام عينيا. نتا تاكل الهرماكة تقدر تصبر وتكمدها فقلبك، ولكن تشوف إنسان ضعيف، وكاين للي عندهم أمراض عقلية، يُذلّون ويُهانون لسبب واحد، هو أن accident genetique – حادث جيني – لاحهم فديك الحفرة. هادي صعيب تدوزها يلا كنتي إنسان سوي.

آخر خدمة خدمت قبل ما نودع أحضان الوطن، كانت مع واحد الشلح، عندو حانوت ديال الحوايج فشارع محمد الخامس – كاين شارع واحد فقنيطرة هو هذا. خدمة نقية واخا لفلوس عيانة. مائة درهم فالسيمانة. وقعو ليا فيها جوج مواقف فشكل، واحد مضحك وواحد مبكي. نبداو بالخايب، الشلح ما كانش تايتيق فيا، حيت أنا، بكل بساطة، ماشي شلح. تاتحس بشوية د العنصرية تجاهك. ݣاع الخدامة – كلهم شلوح – الآخرين كان عندهم الحق يحلو المجر للي فيه لفلوس، إلا أنا. ماشي مشكل هانية. واحد النهار كنت غير أنا وياه فالحانوت، قال ليا حضي أنا راجع، مشا يتقدا التذكرة ديال الكار لأݣادير. شاءت الأقدار أنه غير خرج، دخل واحد لعروبي يشري سباط. «نورمالمون» الناس تايسخسخوك قبل ما يشريو، ولكن خونا بيه فيه، لبس السباط وعطاني 150 درهم. خاصني نرد ليه ثلاثين درهم. أنا عارف ممنوع نقرب من المجر، ولكن قلت هذا استثناء. غير تانسد لمجر وجاي راجع، تايوقف عليا الشاف. عييت ما نشرح، والعروبي مازال معانا، والو.

المضحك هو أن شي ساعة من بعد، رجع لعروبي للحانوت. الطالون ديال السباط تفرتت! ولى بحال الفرشي، حيت قديم بزاف.

الموقف الثاني خاصو يتشاف، ولكن غا نحاول نقرب الصورة. واحد النهار فالصيف، ما بينا ما علينا فالحانوت، تا وقف قدامنا كار ديال السياح. داك الوقت يلا شفتي شي نصراني، بحال يلا شفتي الملك.

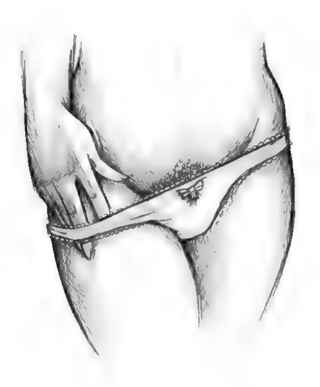
بداو السياح يخرجو من الكار، وبدا سراق الزيت – حنا – تايخرج من الثقابي. الشقراوات حدث ولا حرج. حسينا براسنا بحال يلا تانحلمو. منظر شديد الغرابة، كلشي قيم.. الوضع، خلا الخدمة، وخرج على برا يتبرك ببركة سيدنا عيسى. الشيء الأغرب هو للي وقع من بعد، واللي لحد الآن مازال ما فهمتش علاش وقع. هبطات واحد السائحة صغيرة، ربما 16 عام ما تفوتهاش، لابسة صاية قصيرة بيضة، وهي تجلس فالدروج ديال الكار. نعم إنها الفتنة! قلت أنه صعيب نوصف شنو وقع لأنه غريب فعلا. كلشي الناس للي كانو فداك الزمكان، صحاب لحوانت، الكليان، بنادم للي دايز، كلشي حبس. للي عندو فين يجلس جلس، للي ما عندوش تكا على الحيط، وبحركات سلطعونية بدأ التجمع الهرموني الخصِّيَوي يميل ويتمايل، باش يكون فخط مستقيم بين العينين وسليب الگاوريَة.

مستحيل ما تكونش السيدة لاحضات ثورة الكبت اللي ناضت بسبابها. علاش بقات جالسة ورجليها مفرقين؟ واش عجبها الحال؟ واش حنات علينا؟ تا نمشي لجهنم ونسول الله.

السؤال «الوجودي» للي مازال ما جاوبتش عليه هو فلوس الخدمة فين كانت تاتمشي؟

الفصل السابع

الجنس



كان ممكن نسمي هاد الجزء «التكفات»، لأن الأحداث كلها دايرة على سليخ الحنش، للي كان مازال حنيش صغير نهار بديت تانكتاشف الجسد ديالي.

گاع الأنشطة العبثية للي كنا تانديرو فالدرب ما تضيمش مع أهم نشاط، وهو التكفات الجماعي!

التكفات الجماعي هو العمود الفقري ديال المجتمع المرجاوي، هو حجر الزاوية، هو حلاّل جميع المشاكل والحزازات. تايفكرني ديما بقردة البونوبو للي تايحلو كل الخلافات ديالهم بالجنس، شي مع شي أرى برع، غير الفرق طبعا هو أننا كنا تانتجمعو، وكل واحد تايدير عملية السلخ بشكل فردي داخل الجماعة.

قبل ما نسكنو فدرب المرجة، كنت خبز ربي فطبگو، ما تانعرف والو. ربما حاجة عادية، حيت كنت برهوش. هادشي غا يتبدل 180 درجة مع عبعالي ووليداتو، تا فرقة ما غلباتو.

التكفات الجماعي كان على حساب الكّانة د عبعالي، حنا تايلقانا ديما على استعداد مين تايّودّن: حي على التكفات!

حدا دار الباتول، للي فرعات راجلها بالتُّوكال، كاينة واحد الدار نصها رايب، وعامرة بالفيران والزبل. تا واحد ما عارف شكون مولاها، وعلاش بقات على ديك لحالة من يامات محمد الخامس. كانت المكان المناسب لجلساتنا المنوية، أو خاصني نقول شبه المنوية، لأن بزاف منا كنا مازال فريخات، غير تانتكرفصو على الذكر ديالنا.

تانتصافو، كلشي تايهبط السروال، وتنبداو بحال شي مجموعة ديال راقصي الراب، نداعب حجرنا تا تايجيب الله التيسير، أو ما تايجيبوش! ثم نتحول من الصمت والتركيز إلى الضحك الهيستيري.

ربما التكفات الجماعي هو للي قدر يدير لينا التوازن فعالم أسود تافه كله عنف. كنا نقدرو نزكّلو أي حاجة، إلا النداء لهاد العمل الخيري للي قتلنا/عتقنا فيه ملايير الأطفال المرجاويين. ما خرجوش للوجود.

«التكفات الجاف» عندو حلاوتو، خاصة مين تاتكون كائن هورموني صغير، ولكن مع الوقت تاتحتاج للدعم المعنوي، باش تحافظ على لحلاوة، تاتحتاج الإلهام والخيال. هنا غا يجي الدور ديال السينما. هذا الجواب على السؤال فين كانو تايمشيو فلوس الخدمة. جزء كنت تانعاون بيه أختي، والجزء لاخور تايمشي تقريبا كلو على أفلام ال érotique.

كانت مازال يامات الغفلة، قبل ما يدعشش المجتمع. تانفكر فديك الوقت تانبتاسم، كيفاش كان داكشي هانية وبنادم كوول؟ لو يطرا داكشي دابا، كون فرگعو السينيمات، وخرجو اللحايا يديرو مسيرات ضد الفساد.

باش تلقى لعيالات للي تايبيعو لبغرير فالخبازات فوق ريوسهوم فالخلفية «بوسطيرات» - صور إعلانات الأفلام - فيها بنات عريانات، فوضعيات شبه بورنوغرافية، وبنادم غادي جاي بالآلاف، تايغسل عويناتو فالكواعب أترابا والمؤخرات الخلابة، خاصك تكون عشتي فسبعينات وثمانينات القرن الماضي.

كان جدول الزمن المنوي ديالي تايبدا من الخبازات، لأنني ديجا تانبيع ميكا صاك فيها، وحيت إعلانات الأفلام ديال السينيمات كاملين تايتنشرو تما. كنت ما تانزگل والو، تانسكاني أي بزولة جديدة لصقات فالحيط. غير

تانجمع ما يكفي من الدنانير، تاندوز للخطوة الثانية، للي هي نمشي تشوف «اللونصمات» – هاد الكلمة باينة جاية من l'annoncement. فكل سينما كاين لداخل، ماشي فقاعة العرض، قبل، كاين شبابيك فيهم تصاور ديال مشاهد من الفيلم. هادو هوما «اللونصمات». بحال الforeplay، قبل ما تنكح، تاتدير العناق والبوسان. قبل ما نقطع التذكرة، تاناخذ فكرة مزيانة على المؤهلات ديال الممثلات وتانتوكل على مولانا.

السينيمات فالمغرب كانوا تايعرضو جوج أفلام، غالبا فيلم هندي وفيلم كاراطي، باش يرضيو جميع الأذواق. داك لبكا د لهنود والتحنقيز ديال الشناوة ما كنتش مسوق ليه، حيت تانعيشو بشكل يومي فالمرجة ومع السلطة، وزيد على هادشي أنا منيش على الفرج، ما غاديش نخسر فلوس تمارة على الدراما.

كنت ديما قاني على فرصة جوج أفلام érotique، ولكن كانت نادرا ما تاتوقع، مالين السينمات تايفهمو فالماركيتينغ، تايزرعو ليك فيلم بوليسي Alain Delon ولا Charles Bronson هو الأول، وتايخليوك تاتركّل تاتسنى الخلاعة.

ݣاع لكفايتية – كلشي للي داخلين للسينما – دايرين بحال الناس للي مريحين فشي عرس، تايتسناو اللحم وتايحطو ليهم السفة. جزء منهم تايستاغلو وقت الفيلم الأول فضريب السباسا و فتيخ الجوانات. لمجاج خاص يكون مهيأ للسعرات الحرارية للي غادي تجي من بعد.

الموجات الصوتية فالقاعة تاتكون مجهدة، غير تايبدا فيلم الفاحشة تاتبدا تنقص تنقص، تا تاتولي السينيما بحال الروضة فالليل. يلا طاحت إبرة فالأرض تسمعها. صمت رهيب يخيم على الصالة، كل صاحب خصية ينتظر بلهفة «اللقطة». «اللقطة» ما «اللقطة»؟ وما أدراك ما «اللقطة»؟ عندما تنزل المرأة جزءا من «ݣرسونها»، فيظهر بعض شعر عانتها. «اللقطة»، بها كل شيء كان، وبغيرها، لم يكن شيء مما كان. الناس داخلة على ود «اللقطة» وكلشي خدام على ال timing باش تجي الرعشة مع اللقطة.

بطبيعة الحال كاين للي تايزكلو ال timing وتايبغيو يديرو لاعوبي ولا حارومي. غير تايتخشع الإنسان، تايطلقوا، هاد أعداء الحب، العنان لحلاقمهم تايبداو يغوتو وسط الفيلم: «وما لكم سكتوا؟»

بعد اللقطة مباشرة، تايبانو جوج ديال لفراقي ديال لكفايتية. دوك لقدام فالحرفة، تايقضيو الغرض فبلاصتهم، تايعيشو اللحظة وتايخلقوا السعادة بكل أريحية. هادو الأغلبية! حنا الأقلية، كنا غير تاتدوز اللقطة، خاصك تمشي للطواليط ديال السينما باش تفرّغ. غير تاتجمع الوقفة، تنهال عليك الضربات الكلامية من كل حدب وصوب، من «وا الكفات!» و «فين غادي أ ولد ال*حبة؟» مرورا إلى التهديدات المباشرة «غا نجي ن*ويك» وما جاورها!

قليل فاش كنت تانزعم نمشي نخوي، تفاديا للإرهاب اللفظي، وتانبقا جامع بيدوزة ديال ماء الحياة، تا تانرجع للمرجة ولا الدار. المهم هو تخزين ما يكفي من الصور الفاتنة فالذاكرة، نعدي بيهم على ما نجمع رزيق جديد.

علاقتي مع الجنس اللطيف فالمغرب كانت علاقة عن بعد. ما عمري قست - بمعنى اللمس - شي بنت. كاين ثلاث أسباب: الأول، أنا مرجاوي خرواني شكون غا تديها فيا؟ الثاني، الدين، والثالث هو أنني ما نقدرش ندير شي حاجة مع شي وحدة إلا يلا كانت هي باغية تدير. لهذا ما عمري مشيت عند بائعات الهوى، وما نتخيلش شي نهار نمشي عندهوم.

الضحية هوما مالين الدار، أي مادة لزجة طاحت فيدي، ما تايعاودوش يشوفوها.

الفصل الثامن

الحلم الألماني



كاين شي حوايج صغار تايوقعو ليك فالحياة، تايغيروها تماما. من بين هاد لحوايج للي وقعو ليا، دراستي للألمانية، للي كنت فقدت فيها الأمل تماما بسبب لعكس والحظ الراكع. الإعدادية للي قريت فيها، تاتسيفط لثانوية قريبة للمرجة مافيهاش الألمانية. عيينا ما نرغبو ونبكيو قالو لينا مشات على عينيكم ضبابة، خوكم غا يتعلم «واتس يور نيم و هاواريو». كمدتها فقلبي وشديت الأرض مع قراني.

بعد شهر من لويان اللسان، حصل ما لم يكن متوقعا. واحد من معارفنا، تايعرف شي واحد، تايعرف شي أستاذ ديال الرياضة، تايعرف الحارس العام فالثانوية للي فيها الألمانية - عبد المالك السعدي - قدر يتوسط ليا وقدرت نتناقل لتما. شاءت الأقدار الحمقاء أن تتحقق النبوءة ديال الصغر، «أنا كلامانية» «أنا نقرا الألمانية».

بالخف وليت تانفهم مزيان، ووليت الأول فالقسم. طبعا هادشي على حساب مواد أخرى للي كنت غير تانسمع عليها، وعلى رأسها الرياضيات.

على ذكر الماط، الماط تا هو كان من الأشياء للي كانت غا ترون حياتي. كون ما دارش فيا المصحح ديال امتحان البكالوريا خير ودوزني بنص كون مشيت فقفة متقوبة. نعم نصف نقطة على عشرين. ماشي حيت جاوبت على شي لعبة، لا! وصلاتني الورقة فيها ثلاث معادلات، بقيت غير تانحنزز فيهم، وتانتعجب كيفاش نقدرو نخرجو شي حاجة من هادشي؟ ما كاين لا ضرب، لا طرح، ساعة وأنا تانشوف فالورقة وأنا جامد وتا نتأمل، بحال شي بوذي تايدير الميديطاسيو.

غير بدا المراقب تايجمع لوراق، طاح عليا الوحي أنني نعاود ديك المعادلة الأولى، بحال يلا زعما غا نبدا نخرجها.

نهار خذيت النتيجة، لقيت نص، طرت بالفرحة، لأن صفر كان غادي يسقطني واخا جايب مزيان فالمواد الرئيسية.

الألمانية كنت تانقاد بيها الميزان، ديما عشرين أو على الأقل ثمنطاش يلا كان شي إنشاء.

من نهار بديت الألمانية وأنا تانحلم نمشي لألمانيا. ماشي زعما باش نقرا ونولي دكتور قد الدنيا، ولكن أولا وأخيرا باش نبدل حياتي. بغيت نبدا كلشي من جديد، بغيت نتولد من جديد.

النظري ساهل بزاف ولكن كي غا ندير مع التطبيقي؟ باش نزهق لديك لبلاد خاصني ضمانة، شي ملعق مولى مْلَيّنات يشوف من حالي ويعمر ليا لوراق. هاد القضية شبه مستحيلة. هنا كنت على موعد مرة أخرى مع الزهر، فشخص صديقي الأعرج أمين!

أمين تاهو خاصو مذكرات ديالو بوحدو. أمين إنسان تقياتو الحياة، شتفات عليه، ذبحاتو ودفناتو وبالت على قبرو، واخا هاكاك قدر ينوض من قبرو بحال اليسوع، ويقول للحياة مامفاكش!

يلا كنتي تاتظن أن الحياة ظلماتك، وما عندك ما تدير باش تغير سعدك، سمع قصة أمين وغا تحشم على عرضك.

أمين تولد لقا راسو عرج، رجليه بجوج مهرهرين، تايلعبو فالهواء، تايجرهم بحال الجراتل، الوالدين ماتو بجوج فعام واحد، خوت أمين كلهم عايشين تحت خط الفقر، أمين بدا يتلاوح من محسن لمحسن، وبينات كل محسن ومحسن فترات ديال الزنقة والتشرد. أي واحد تايعرف شوية المغرب، غا

يحلف على هاد خونا أنه غا يطلع سعاي، ولا يحماق ويبدا ياكل الربيع بحال بزاف بحالو. أمين كان شكل آخر، داكشي للي كان ناقصو فالجسم والرزق، تزاد ليه فالدماغ. كان ذكي! ماشي الذكاء ديال العلوم، الذكاء ديال تعرف كيفاش تتداخل مع الناس، وكيفاش تقضي شغالاتك وصوالحك.

حكايات كثيرة عندي على أمين، ماشي المجال ديالها هنا، ولكن الخلاصة هي أن صديقي قدر يقرا، وكان ديما تايدبر على للي يعاونو ويوفر ليه لوازم المدرسة. تلاقيت معاه فالثانوية وقرينا بجوج الألمانية. يلا شي واحد يقدر يدبر على ضمانة من والو، فهو أمين. سيمانة وهو عاصر بحال شي حنشة على واحد من أثرياء مدينة القنيطرة. نهار جات الفرصة، خلاه غير هبط من الكاط كاط، لاح لعكاكز وطاح ليه على رجليه، شد فيها شدة لعمى فالظلمة بالبكا والتحنحين. مول لبينكَا دخلو للدار عندو واعتاذر ليه أنه لأسباب خارجة على إرادتو ما يقدرش يضمنو، دور معاه مزيان شي 36 ألف ريال، على ما قال، حيت أمين كان ماكينة ديال القنبول والسلوكَية ديالو أولمپية.

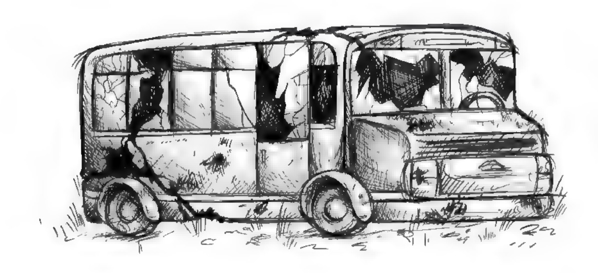
أمين ما استسلمش، ما كاملاش شهر من بعد، تصاحب مع مدير وّزين الطاليان - معمل معروف فالقنيطرة، وقدر ياخد منو الأوراق كاملين ديال الضمانة. شنو المحل ديالي أنا من الإعراب فهاد الكيف كامل؟ أمين، القلب لكبير، دار مجهود خرافي وقدر يقنع مول الضمانة أنه يدير تا سميتي فالورقة!

مشيت معاه للسفارة وأنا مرعود، كاع القرآن والأدعية للي حافظ قلتهم، دخلنا، العساس سولنا واش وراقينا ناضيين قلنا ليه إيه وهو يسيفطنا للشباك باش ندفعو. غادي لعند الألمانية تما عرقاان، بحال يلا غادي عند الله يوم العرض.

الوقت من الدفيع تا للنهار للي عيطو ليا داز بحال شي فيلم ديال لخليع. كنت واثق أن الضمانة ديال واحد لجوج ما غاديش تتقبل. مين جاتني الدعوة ما تيقتش، سحابني ناعس وغا نفيق، حمدت الله وشكرتو أنه كتب ليا الخارج فاللوح المحفوظ وتكرم عليا بتحقيق الحلم لكبير، الحلم الغالي، ألمانيا أنا جاي!

الفصل التاسع

الطريق إلى «الجنة»



الفيزا فالجيب، والقلب مازال تايضرب بالفرحة ضريب، والفلوس الله يجيب.

مين تاتكون فقير، تا تحقيق الأحلام تايكون مْعَكّل بحالك. كيفاش غا نمشي لألمانيا؟ الطيارة غي نساها. حل واحد للي كاين هو الكار. الكار الرخيص، الكار للي حرام يتسمى كار. تقام علينا ب طلطاش ألف ريال، من قنيطرة لباريس، ومن بعد خصني نشوف التران من باريس لألمانيا. لفلوس تسلفاتهم أختي من عند بنات مِّي خيرة. هاد لبنات كانو تايترزقو بالخياطة. وحدة فيهم تزوجات وتطلقات فشهرها الأول، وكرهات شي حاجة سميتها الرجال. الأسطورة تاتقول أن طليقها كان «پسيكوپات» ومارس عليها جميع أنواع الوحشية الجنسية. أختها كانت عندها لاطاي واعرة، ولكن كانت خيبوعة بزايد و «بارْتْ».

غا نمشي غير هاكاك، لا فلوس، لا سكنى تاتسنى، لا شي صاحب يعاون تما. كنت تانشوف راسي بحال دوك الأوروبيين لقدام، للي كانو تايركبو فالباطوات ويغامرو فالبحر باش يوصلو لأمريكا. شريت صاك كبير ديال الظهر من الجوطية بسبعين درهم، لحت فيه تْريكّو ديال الصوف، صندالة ديال بيت الما، شورط، فوطة خذيتها بالمطايفةَ من الدار، وأمانة ديال شي ناس، غا نرجع ليها من بعد.

توكلت على مولانا وبدات الرحلة. جلست حدا واحد الوزن الثقيل جهة الشرجم، فرحت فالأول، غير ضربات فيا الشمس وعرفت الكار ما عندوش لخوامي، هجرت ديك الفرحة.

مين طلعت وروايح الدجاج والبيض والملاوي فايحة. بحال شي محلبة مسافرة.

مول الكار كل شوية تايحبس حدا مالين الشوا باش ياخد «الكوميسيو» – التدويرة – ديالو من صحاب الكفتة. أنا ما زعمتش نخسر ديك جوج فرانك للي هاز معايا وبقيت صايم صيام النبي.

راسي كان عامر غير بالتخمام فشنو غا نلقى تما. واش ديك ألمانيا للي تانتصور فالأحلام، ولا شي مصيبة كحلة غا تندمني؟ كنت مقتانع أن ألمانيا كيفما كانت، ما غاديش تكون كرف من المغرب لْمْشْكْرْفْ.

شحال والكار تايخبط، وتقول واش ضواو سبتة بغاو يبانو. ها مولاي شي حاجة، ها سيدي شي لعبة، ها لعرايش، مدينة لا محل لها من الإعراب، ما غرب ما شمال، غير تاتدوز بيها الوقت على ما توصل للشمال الحقيقي. ما بقاش بزاف. مع ديك الربعة ديال الصباح وصلنا لمدخل سبتة. ما عمري كنت تانتخيلو يكون بحال هاد الويل. بنادم بالآلاف تايتجرا بحال يلا هاربين من تسونامي، ما كاين لا علامات توريك فين تمشي، لا ناس يعاونوك. مول الكار حل لينا الباب وقال لينا زربو راه الكار ما غا يبقاش يتسنى! كل واحد هز صيكانو وشد طريقو فجميع الاتجاهات. سهيت واحد الدقيقة، دماغي تبلوكا، شوية فقت من الغيبوبة، لقيت راسي بحال «الأطرش فالزفة»، بنادم تايتجارا بحال الفرارج مقطوعة الراس، شوية بداو يوقفو عليا شي وحدين: «أرى نْعَمّر ليك!» «أجي معايا تعمر!» «تبعني أجي!»

ما فهمت تا وَزّة، شنو هاد التعمار؟ ما قبلت تا شي عرض وبقيت تانحنزز. بان ليا واحد الحيط كبير لاصقين عليه شعب ديال الناس، مشيت ليه وبديت تانتأمل فالمشهد. تفكرت مول الكار للي غا يرول بلا بيا يلا تعطلت، فديك اللحظة وقف عليا واحد خونا

- أرى نعمر ليك!
- شنو تعمر؟
- أرى الباسبور!

- لا!
- ما تخافش غا ندفع ليك
- شنو غا تدفع؟
- البوليسي غا يطبع ليك باش تدوز

درت النية وعطيت وراقي لّلحِيَّة. جرني معاه للقدام وقلبي غا يسكت بالهَلَع، خايفو يجبد عليها ونولي لا شَريحة لا مؤخرة صحيحة. وصلنا لشباك صغير، مخشي فيه واحد البوليسي، خدمتو النهار كامل الطبيع وجمع الرشاوي.

مول التعميرة قال ليا جبد اللعاقة، جبدت ثلاثين درهم، دارها فالباسبور وزرع ذراعو فالشباك، البوليسي تايعرف صحاب التعامر، خذا من عندو الجواز ديالي، النقود غبرات فواحد لمجر بسرعة السّحَّارة د الكارطة، طبع لوريقات ورد ليا كلشي.

وراني لعمايري الطريق، شديتها وبقيت تانفكر فالسيستيم الرشايوي، وكيفاش تاتقسم الغنائم فالأخير.

وصلت عند الديوانة ديال سبليون فالجهة الأخرى، كلشي مختالف على لمغاربة. الأمور واضحة، عطيت للسيد الجواز، رجعو ليا بالخف ومشيت للكار.

كأي خرواني أصيل من القنيطرة، جاتني سبتة مدينة واعرة، تاتعطيك واحد L'avant-goût ديال أوروبا. وصلنا للمرسى، ركبنا فالباطو.. أمانة عليك يا مركب، تعتقني من بلادي المغرب!

شحال سمعت على الخُزيرات وكثرة التخنزيرات. باش ما ندوخش عوتاني وتدوز عليا بحال فسبتة، تبعت الناس للي معايا فالكار، كانت معانا واحد البنت قرطاسة، هي للي بقيت موراها تا وقفنا عند صحاب دعوتي.

واحد الكونطوار طويل، تاتحط فوقو داكشي للي هاز معاك، وتاتسنا سبنيول يْفَلّيو المسائل وتدوز. وصلات نوبتي

- Pasaporte!!!
- شنو؟
- Pasaporte!!!
- هممم..

البوگوسة للي قدامي عتقات الموقف قالت ليا

- عطيه الباسبور

عطيتو الجواز، حل الصاك وبدا ينبش، ما غادي يلقى غير ميكة كحلة، بحال ديك للي بعت وشريت فيها طفولتي كاملة.

لميكة فيها جذور النعناع. علاش؟ حيت حنا المغاربة عزيز علينا يلا كان شي واحد غادي لبرا، نعطيوه «الألغام» يديهم معاه لشي واحد من العائلة، ولا شي ولد خالة مول لباش. ختي عندها واحد صاحبتها، عرفاتني غادي لألمانيا وهي تجيها فكرة عبقرية، شي جارتهم عندها ناس من العائلة خُيّخو فألمانيا، قالت مع راسها مزيان يزرعو النعناع تما ويشمو ريحة لبلاد. المشكل هو أنا دابا تانشم ريحة «لْبْرُودْكَانَات» السبليونية بسبابها. السبنيولي هز لميكة للسما، شوهني قدام الخلق، وبدا يزرب عليا بالهدور

- شي حاجة بالإسبانية!
- شنو؟
- شي حاجة بالإسبانية!
- هذا؟ النعناع نعاماس
- شي حاجة بالإسبانية!

مرة أخرى بغات تعتقني القرطاسة ولكن بدون جدوى. شرحات ليهم أن هذاك نعناع ولكن ما فتانعوش. خشا الديواني الباسبور ديالي فالجيب اللوراني، لاح الصاك فالقنت، وشدني داني لواحد البيت بعيد. دخلت، قال ليا تعرى، بالكلمات والحركات باش نفهم، سد الباب من برا ومشا.

فهاد اللحظات تاتولي تاتيق أي حاجة، واش ضرباتني عوينة؟ واش سحرو ليا؟ واش داكشي ماشي نعناع؟ واش السبنيول ما حملونيش وبغاو ينتاقمو مني؟ واش دايرين كاميرا خفية؟ واش لالمان تنادم معاهم الحال وبَلّغو سبنيول؟

تعريت، بقيت غير بالسليب. «الستريس» ردني ما بقيت مسوّق لا لكار، لا لألمانيا. ما بغيتش غير نرجع للمغرب. وليت تانفكر نبقى گاع فاسبانيا ونحاول نْزَطّطْ راسي.

بعد مدة طويلة تحل الباب، دخلو جوج ديال البوليس هازين معاهم الصاك و الباسبور ديالي، قالو شي حاجة فهمت منها أن صافي، الأمور دازت بأمان،

لبست حوايجي، هزيت الصاك فوق ظهري، وتانتسنا يمدو ليا الجواز. واحد فيهم حل الباسبور وبدا يْجْبّدْ فالورقة للي فيها الفيزا، تايْجْبّدْ مزيان، خلعني، خفتها تقطّع، جاب الله لالمان تايديرو الخدمة د النية.

تلفت فالمرسى، ما عرفتش كيفاش نخرج لبرا، بغيت غير نخرج، حيت فقدت الأمل فالكار، ما نتلاقى غير مع واحد الدري مسافر معانا، ما خلاش الكار يقلع بلا بيا، ورجع تايقلب عليا! ولاد الناس كاينين!

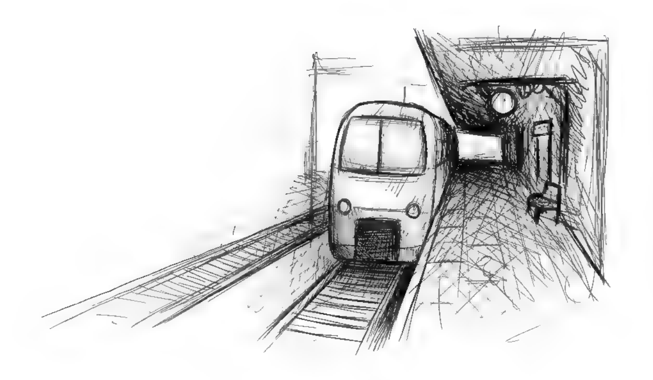
ركبت فالكار وأنا ݣاع ما متيق شنو وقع. يلا كانت هادي غير البداية، علم الله شنو تايساييني مازال.

واخا فرعني الكار بالصهودات والشمش الحارقة على وجهي، فْجّجْت عينيا فاسبانيا وفرنسا. كلشي جديد ونقي ومنظم. هادشي زوين وخصني نبقى فيه. لا للعودة! لوراق وما أدراك ما لوراق!

بعد يومين والصرف، نعست فيهم ربما ثلاثة د السوايع، وصلنا لباريس. داك ولد الناس دار فيا خير عوتاني، دّاني معاه لمحطة القطار وعاوني قطعت تذكرة لألمانيا.

الفصل العاشر

أرض الميعاد



ركبت فالتران، البشر تايشوف فيا شوفات مقودين، أوّ؟ واش أنا خيبوع لهاد الدرجة؟ واش عنصريين هاد الناس؟ جلست وجيت مقابل مع واحد الشارفة، شحال وهي صابرة، فالأخير سولاتني بالفرنسية واش كنت فالعسكر؟ مع أنا واعر فالفرنسية، جاوبتها ب Non ودوّرت كمّارتي جيهة الشرجم. علاش سولاتني هاد السؤال العجيب؟ واش حيت درت تحسينة عسكرية بخمسة دراهم قبل ما نجي؟ واش حيت وجهي وجه تمارة؟ اللباس، الصاك؟ ما نعرف.

التران دخل لألمانيا! أخيرا تحقق الحلم وها أنا وصلت!

«التذاكر رجاء!» «التذاكر!»

الكونترولور - المراقب - الألماني جا يتقّب التذاكر. الناس تاتجبد البيِّي من جيوبها وبزاطمها، وأنا طبعا، ككل مغربي كبر فالجوع والنوع والبكا بالدموع وعنداك وحضي، خشيت التذكرة فتقاشري، ومع المشي والاحتكاك هبطات لتحت. الكونترولور والناس للي معايا بقاو غير حالين فمهم، تايبرقڨو فيا تانحيد فالسباط وتانجبد تذكرة من أسفل الجَوّرب!

مع ديك الطناش ديال الليل وصل التران لبيت القصيد. واخا لعيا والتكرفيص للي داز عليا، نشطت فمحطة القطار، داكشي كبير تباركالله وعامر بالتكنولوجيا. فمحطة القنيطرة كانو تايكتبو فوقاش التران داخل و خارج فسبورة صغيرة بالطباشير. فالمحطة الألمانية كاين لوائح كبيرة تاتفرفر، وكاين لحوانت والمحلات التجارية، وبلايص زوينين ديال الجلوس. سرحت مزيان مع الخير، تا فيقني الجوع من الغيبوبة ديال الصدمة الثقافية، لقيت راسي أمام الأمر الواقع. لالمان هاهيا! ياالله بالي!

استسلمت وقلت ندوز الليلة بعدة فسخونية المحطة، تا لغدا ويحن الله. تكيت فوق واحد الكرسي طويل، وبقيت تانخيص فالنصارى غادين جايين، تفكرت دوك الأفكار الغريبة للي مازال عند شي مغاربة على أوروبا، أنك غير تاتوصل تايتهلاو فيك بالخدمة والسكنى والجنس اللطيف. تا واحد ما تسوق ليا، كلشي مقابل خدمتو وشغالاتو.

ياالله بديت نكّمع، تايبان ليا واحد اللويّن جاي من لبعيد، الساط عندو لحية مكرددة، صعيب تعرف جنسيتو. غالبا مسلم.

توكلت على الله وزعمت، وتسنيتو تا قرب وأنا نقول ليه

- السلام عليكم!
- وعليكم السلام ورحمة الله!

قالها بواحد اللكنة ماشي عربية

- تتكلم عربي؟
- لا ألماني

كملت معاه بالألمانية

- أنا جديد هنا يالله جيت
- من أين؟
- من المغرب
- أنا أخوك حسن، من الصومال، أعرف الكثير من الإخوة من المغرب
- كاين شي واحد نمشي عندو، ولا شي بلاصة نريح فيها؟
- كاين المسجد

- المسجد؟
- نعم المسجد، كاينين فيه بزاف ديال الإخوة
- فين كاين؟
- ما بعيدش، بلاتي نشوف مع الأخ مول الطوموبيل نوصلوك فطريقنا
- شكرا جدا جدا جدا

الألمانية مازال محّرتّكَة، شحال بغيت ندعي معاه بالقابول وشي نقرة فين يغبر نحاسو، ولكن ما عرفتش كيفاش نقولها.

مشيت معاه عند مول الطوموبيل، كان تايتسناه برا باش يوصلو. السلام السلام، خونا مول المركوب مسلم أمريكي. سبحان الله، أول لقاء فألمانيا، صومالي وأمريكي. الأمريكي الألمانية ديالو ميتة، الصومالي مرة مرة تايشرح ليا خارطة الطريق.

دزنا لقاعدة عسكرية أمريكية، قضى فيها شي شغل، بقيت أنا تانتسنا فالطوموبيل، ومن بعد داوني للمسجد.

الفصل الحادي عشر

المسجد



كنت تانتسنا تبان ليا شي صومعة، ولا شي لعيبة نعرف منها أن البناية مسجد، ولكن فالأخير طلع ݣاراج!

ݣاراج كبير. قبل ما يتوب عليه الله ويولي جامع، كان مخزن ديال الماحية - الخمر.

ما يغركش المظهر من برا، غير تحط رجلك لداخل غا تلقى راسك فبُعد آخر، ساعة الزمن غا ترجع بيك اللور، وغا تحس بحال يلا مْرّيّح فدار الأرقم بن أبي الأرقم - الدار للي بدا فيها الرسول الدعوة السرية ديالو.

فالدخلة على ليسر بلاصة السبابط، على ليمن الطريق للمرحاض، عامرة بالماريوّات فيهم مواد غذائية، أغلبها حْكَاك الطّحينة والفول المدمس وبابا غَنُّوج. حدا الدخلة د الكابينة كاينة ركنة، فيها بوطة صغيرة والمواعن.

المسجد لداخل فيه ثلاث أجزاء رئيسية، جزء المكتبة، حيط عامر بالمجلدات، مئات الكتب الصفراء، جزء العبادة، والجزء الثالث واحد الدخشيشة دايرين

عليها حجاب، تما فين تايخبيو الأشياء القيّمة، وتاتصلاح كذلك بيت ديال النعاس للناس المهمة – الناس ال VIP .

هاد الجامع غا يولي مقر السكنى ديالي لأكثر من سنة!

الدنيا تاتصفر فالزنقة، كلشي ناعس، لخّوت دقو فالباب ديال الڭاراج، والو، عاودو دقو، والو، بدا دماغي عوتاني تايصنع السيناريوات. ياكما دايرين ليا عامرة فخاوية؟ واش كاين شي جامع فألمانيا ڭاراج؟ أش هاد المصيبة؟ يالله درت جوج خطوات للور باش نوجد للتعالق، والتقرقيب بدا يتسمع من لداخل. جمال – أخ جزائري – مبنكّل بالنعاس، حل الباب

- السلام عليكم!
- وعليكم السلام، معانا أخ مغربي يالله وصل من المغرب، ما عندو فين يبات

جمال دار طليلة عليا

- السلام خويا واش راك؟ رواح!

الصومالي والميريكاني قلبو الروايض وأنا دخلت ندشن الجامع.

- صليت لعشا؟
- لا

واخا ديت معايا تِيمُومَة فالطريق، زْكْلت بزاف ديال الصلوات.

ورَّاني جمال الطريق لبيت الراحة، وقال ليا ما نديرش الصداع حيت الإخوة ناعسين.

دخلت لديك جوج ميترو فجوج، سديت الباب، شعلت الضو، وهي تبان ليا الكارثة. ثلاث أيام ما شفت راسي فالمراية. الشمش فرعاتني، وجهي عمر بالحبوب، وليت بحال هادوك للي ضربهم صدام بالكيماوي.

درت وضوء ديال الزربة وخرجت نكتاشف الجامع، دزت من حدا القْصّ وخرجت للجزء لكبير ديال الصلاة.

مع الظلام، بقيت غادي تانْحَسّسْ بحال لعمى، صليت صلاة مزعلكة بحال صلاة لْمَقْدّمْ فالجُمُعة. غير ساليت، جا عندي جمال عطاني كاشّة رمادية بحال ديال البومبيا – رجال المطافئ، وقال ليا للأسف ما بقاوش لْمَخادّ، خاص نْتْوَسّد يديا بحال سيد النبي صلعم!

الراس تحط على الأرض، العين مشات فخبر كان، لكن يا فرحة ما تمت، خاذها الغراب وطار. الضو شعل، الصداع والتكمكيم مخلط، ما تعرفو صلاة، ما تعرفو قرآن، ما تعرفو دعاء. ناري شنو هادشي؟ حليت عينيا لملصقين، تانْوَرّق داكشي للي كان مخبيه الظلام. واو واو واو! هاد البشر كلو كان ناعس هنا؟ لقليلة شي ستين واحد! كلهم حْرَّاكَة، أغلبهم جزائريين وبعض المغاربة وتونسي واحد.

نضت تانتمايل، سكران بالنعاس والتسخسيخة، توضيت، صليت الفجر ومن بعد صليت أول صلاة جماعة فألمانيا. يا سلام على أذان ويا سلام على قراءة، نقيت ودني شوية من داك التوعويع والتلوث السمعي ديال جوامع المغرب.

بعد الصلاة بقى كلشي فايق! النعاس طار. شي مْجَمّعْ تايقرا القرآن، شي شاد كتاب أصفر تايقرا فيه، شي تايسبح. الأخ أبو أحمد اليمني، الراس لكبيرة فعلوم القرآن، دايرين بيه رباعة ديال طَلَبَة العلم، هز راسو شاف فيا

- شارك معنا أخي الحبيب
- آآه.. نعام؟
- الأخ مغربي؟
- نعم
- ما شاء الله، عرفنا بنفسك بارك الله فيك
- أخوكم في الله هشام، من المغرب، طالب جامعي، أحبكم في الله

نفعاتني يَّامات العدل والإحسان

- أحبك الله الذي أحببتنا فيه

كل واحد قدم نفسو ليا وجاني إحساس زوين ديال الانتماء. أنا ماشي بوحدي هنا، كاين ناس تايبغيوني فسبيل الله ويقدرو يعاونوني. فرحت.

- نكمل إن شاء الله من الآية 19 من سورة الحجر

وا سيييير تقلّب دابا على سورة الحجر فين كاينة. لقيتها وتسنيت نوبتي نقرا

- هشام، تفضل أكمل جزاك الله خيرا

كنت مازال مامعلمش أحكام التجويد، غير بديت بدا يحبّس فيا، مرة على الإدغام، مرة على الإخفاء، مرة على القلقلة، مرة على قراءة ورش. حنا فالمغرب تانعرفو غير السِّي ورش. فالمشرق غير حفص للي تايْشِيّرْ.

بعد جمع الحسنات والتَّفَقُّه في دين الله، ناضو الإخوة تايجمعو لفراش. الجامع فيه واحد الجزء رابع ياللّه شفتو. واحد الحفرة لفوق، خاصك تنقز برجل فالحيط باش توصل ليها. تما فين تايحطو لفراش ديال النعاس. طلعت نعاون، لقيت كركور ديال كراطن المعلبات والميكات ديال لحوايج. ما بغيتش نسول شنو وعلاش وكيفاش.

ساليت خدمتي هبطت، الدراري جابو الخبز وأتاي أسود باش نفطرو. واش الخبز وأتاي غا يبقى تابعني تا للموت ولا كيفاش؟ ما كاين تا باش تْبَنّْنْ الخبز. حْرفي!

تجمعنا بحال ليتامة على داكشي للي قسم الله، تفكرت الجنرال ديال الحديث، أبو هريرة رضي الله عنه مين كان من أهل الصُّفة - صحاب «عاونونا» فوقت النبي - ساكن فالجامع وتايقتات من فتات مسجد الرسول.

تاناكل وتانشوف فالوجوه للي جُلُّها عابسة، واخا فلتات من جحيم العالم الثالث.

الفصل الثاني عشر

أهل المسجد



بديت نتعرف على ولاد الجامع، كاين للي بّتّ نْبّتّ، ديما مخشي فبيت الله، ما تايخرج منو إلا للضرورة القصوى. مصطفى ومحسن وعبد الفتاح لمغاربة، وجمال ومحمد الجزائريين، كانو من هاد النوع. البقية كانو تايباتو فالجامع، ومور الفجر تايخرجو يترزقو الله. سِماهم على وجوههم، كل واحد ونيتو.

مصطفى هو القيدوم، هو الماناجر manager ديال كلشي واخا صغير فعمرو. جا فأواخر الثمانينات لفرنسا باش يقرا، لكن ما كملش لأسباب غامضة، ولقى راسو مضطر يرحل لألمانيا. بقى يدور يدور تا طاح فهاد الجامع، ومن تما وهو فاعتكاف.

مصطفى دري متدين بزاف، المسلم «المثالي»، ضريف كي لخريّف وأي حاجة حتاجيتيها يعاونك. مصطفى ماشي ملاك، وقعو ليا ولناس آخرين ديكورات مقوّدين معاه، غا نرجع ليهم من بعد.

جمال الوهراني هو الخليفة ديالو، كبير شوية فالعمر، رقيق وباينة عليه لا يُظهر ما يُبطن. متدين ولكن تدين ضرورة. مستافد من السكنى فالجامع، وتايدير المينيموم للي مطلوب منو. أي حاجة فيها لقصارة أو التفواج، تاتلقاه من السباقين ليها.

محسن ومحمد - الله يرحمهم - كانو بحال التوام، واخا واحد مغربي وواحد جزائري. وصلو لدرجة الإحسان، وكانو تايخلعونا بالحرص ديالهم على النوافل والصوم وقراءة القرآن. من سابع المستحيلات تلقى شي واحد فيهم ما مستاغلش وقت الفراغ ديالو فشي عبادة. حياتهم كلها عبادة. يمكن تا فالحلم كانوا تايحلمو راسهم تايصليو ولا تايْسبّحو!

عبد الفتاح الوجدي، مول الزهر لعْوّج، كان faux guide فالمغرب، تعرّف على واحد الطاعنة فالسن جابتو لألمانيا، ما كملش معاها العام، دابز مع ولادها وهي تكركبو. عيا ما يْنَقّب على شي حفريَّة أخرى «تصوفيه»، والو. تّلاَّت بيه لِيَّام ولى حارڭ ومخبي فالجامع بحالْ خوتو. عبد الفتاح كان ضرافات، ومع كبير فالسن، تا هو قدر يحافظ على الإسلام الثقافي - إسلام فلم الرسالة. كان تايتفاهم مزيان مع جمال. كون ما الزمان، كون موحالش يكونو على ديك الحالة للي هوما فيها.

كانو خمسة، وْلِّيت أنا سادسهم، ماشي كلبهم. بشوية بشوية بديت نعرف الناس. الأسماء ديالهم، فين ساكنين، شكون تايجي مرة فالنهار، شكون تايجي غير من الجمعة للجمعة، شكون مْرَيّش، شكون مْقَرْقَشْ..

مع المغرّب تاتبدا النطيحة والمتردية وما أكل السبع تْتْكَبّ على الجامع. هاد الناس كانو خليط ديال المآسي الإنسانية، ها للي هارب من الحرب الأهلية فالجزائر، ها للي قتلو ليه شي واحد من عائلتو، ها للي مدوز الحبس، ها للي تايتسنا اللجوء، ها للي كان بيخير عليه وحماق. القاسم المشترك بيناتهم هو البحث على أوراق الجنة - أوراق الإقامة. النهار كامل وهوما عاصرين على الألمانيات عل وعسى شي وحدة تْحَنّ.

كون ما هاد العشران، كون دماغي تغسل فوقت أسرع. كانوا تايديرو ليا «البالونس» - التوازن، تايفكروني بأن كاين حياة أخرى خارج أسوار المسجد، تايفكروني بالحلم الألماني، علاش جيت هنا وشنو خصني ندير.

بعض رُوَّاد بيت الله، خصوصا اللبنانيين، كانو مْلَعّقِين وكانو نهار تايجيو تايكون عندنا العيد، بحال شي عمك نهار تايجي، تايجيب المونادا وتاتسنى التدويرة. هادو كانو تايجيبو مرة الحلوة، مرة تميرات والحليب، مرة أعاصير.

من مناسبة لمناسبة، كانو العسكر ألامريكان تايديرو «الإنزال العسكري» فالجامع. هاد العسكر كلهم تقريبا كوحل، من جماعة Nation Of Islam، إسلامهم بوتسواني سوريالي، واخا هكاك كنا فرحانين ما قادانا فرحة بيهم، فقط لأنهم أمريكان. فهمهم فالدين ضعيف ومزعلك، ولكن قْلّدات ولاد اللّدينة، يشدك يطويك على ربعة.

كنت تانْسَلّكْ معاهم غير بالابتسامة و Yes و No. «السطاسيونمو» ديال الجامع كان تايعمر بالحديد ديال الصح، غير الكاطكاطات، وحدة تنسيك فالاخرى.

هاد المريكان كانو تايديرو معانا المزيان فالماطرييل يلا حتاجينا شي حاجة، مسجلة ولا جهاز فيديو ولا ماكينة ديال فوطوكوبي. كلشي رخيص عندهم والماركات مزيانين.

للي كانو مستافدين كذلك من الميريكان، ولو غير معنويا، هوما دوك «مونامي» - الناس ديال إفريقيا السوداء - للي تايعرفو الإنجليزية. تايخشيو كرموصتهم فالشريط، وتايتميكساو مع شعب العم سام.

أقوى زْرْبَة فتاريخ المسجد، دارها واحد الغاني - من غانا. كلشي تصيد فيه، لدرجة ولات سميتو بلال الأمريكي، واخا هو ما بينو وبين ميريكان غير الخير والإحسان، جامي حط فيها رجيلاتو. مع ذلك، خونا بلال «الأمريغاني» كان رجولة ومتدين حقيقي، واخا استحلى اللقب ديالو وبقى مدة طويلة كاتم السر الإفريقي.

ناس آخرين كانوا تايبانوا بين الفينة والأخرى، هوما دوك عابري السبيل، كل واحد فيهم عندو قصة مْفْشْكِلَة. بحال قصة سامي الجزائري للي خرج لوالديه من الجنب. مُّو فرنسية وبَّاه جزائري. واليديه ما عمرهوم اهتموا بالدين. هو احتك برجال الدعوة والتبليغ، كبّرْ لحية حمرا، لبس لباس صحاب المسواك وعود الند، وشد الطريق سياحة فسبيل الله. واليديه كانو غا يتسطاو بسبابو ولكن هو مشى فطريق الله ما تسوقش ليهم.

واحد النهار مريحين مور الظهر تانسمعو أناشيد الجهاد تا تانسمعو الدقان فالباب، مشيت حليت لقيت سامي واقف قدامي بحال شي صحابي منور،

تماما كيفما تانتخيلو الصحابة. هو أصلا بلق، وزايدها بعينين خوضر واللحية حمرا، ديال الله ماشي ديال الحنة. بلبلني! قلت ليه السلام عليكم جاوبني بالجزايرية. سامي ما تايعرفش العربية الفصحى. تايعرف الدزايرية والفرونسي. العلم ديالو فالدين واخذو كلو من «قيل وقالوا». تا القرآن ما تايعرفش يقراه. واحد المنظر «غير صحي» تشوف واحد تقول عليه علي بن أبي طالب تايتهجا كل كلمة فالقرآن.

سامي كان تايتعصب دغيا، وبعض المرات على أبسط الأمور، مثلا واحد الأخ ما فهمش سميتو مزيان وعيط ليه «السامري»! ناري بقى شاعل يومايين وحنا تانبردو فيه. السامري هو للي صنع العجل لبني إسرائيل مين مشا موسى عند ربو، حسب الرواية القرآنية.

سامي كان تايمشي كل شهر يجيب فلوس المساعدة الفرنسية، وتايكمل طريقو من جامع لجامع، في جولة أوروبية بدون هدف دنيوي.

أطرف موقف طرى ليا معاه هو كنا واحد المرة تانصليو جماعة وكان فجنبي. مين رفعنا من السجود بقات سْنَّة ديالو فالأرض! أنا تخلعت ما فهمتش لبلان. من بعد الصلاة شرح ليا أن سنانو كلاو الدق - المسواك ما صدقش - ومشى ركب سنان جداد بثمن رخيص فبولونيا. الجودة البولونية بدات تاتعرى فالسجود، السنان بداو يطيحو والفلوس باش يصلحهم ما عندوش. سامي ضارب الدنيا بركلة، فعوض ما يحاول يلقى حل بدا يشكي من موضوع آخر

«با با با! يا محاينك حبيت نخرج نتأمل في خلق الله ماكاش كيف! كلش عمارات، الشمس ما تشوفهاش»

الفصل الثالث عشر

حُرّاس المعبد



ولاد الجامع كاملين، كيفما كان مستوى الإيمان ديالهم، تايبقاو مؤمنين درجة ثانية، المجاهدين و«العلماء الربَّانيين» هوما الدرجة الأولى. بسبب الموقع الاستراتيجي ديال الجامع، للي قريب للحدود مع عديد من الدول الأوروبية - يعني جا فالطريق ديال كل من شد الرحال إلى نصرة إخوانه المستضعفين - قدر هاد بيت الله يجمع خليط من حاملي الألغام الميتافيزيقية.

كانوا معانا للي حياتهم دازت كلها جهاد، ما خلاو أفغانستان، ما خلاو شيشان، داغستان، ودابا البوسنة تتادي. كان معانا للي مشا ورجع، كان معانا للي غادي جاي بحال الأخ أبو حمزة المصري، كان معانا للي ناوي الجهاد واللي على سبة، وبطبيعة الحال كانوا معانا صحاب العلم الشرعي للي «تايطراسيو» الشانطي المؤدي للشهادة. أبو ليلى الفلسطيني، أبو خالد السوري ومحمد السوداني كانوا تايعطيو للعلم الشرعي سبعة لزيرو. ما عمرهوم جاهدو، ولكن ݣاع الخلايا ديال دماغهم مجاهدة فالقرآن والحديث والفقه.

هوما صحاب الحلقات التعليمية وهوما المكلفين بالأنشطة الدينية ديال الجامع، من خطب الجمعة للإمامة فالصلاة، مرورا بالقيام والاعتكاف والاحتفالات. تقريبا أي حاجة عرفتها فالدين من نهار حطيت رجلي تما، مصدرها هاد الثلاثة ديال اللحايا. واخا تا واحد فيهم ما سعودي، ولكن لهجتهم كانت متأثرة بالسواعدة وأثروا عليا تا أنا وليت تانهدر بحالهم ونسيت كيفاش نهدر عادي بالعربية.

أبو حمزة كان فيامات الجاهلية مسلم خفيف، مجوج بألمانية، تايسوق تاكسي وتايتفكر الإسلام غير من العيد للعيد. نهار شعلات لعوافي فالبلقان تحول أبو حمزة تحول جذري، لاح التاكسي، سمح فالدار وكلشي، هز مرتو وولادو وهبطهم للبوسنة!

مع عندو جواز ألماني وتايعرف يتعامل مع الطريق، دارو ليه المجاهدين خدمة جهادية قريبة من خدمتو المدنية لقديمة، ولى هو المسؤول على نقل الماكلة ولحوايج والكواش إلخ. من ألمانيا للبوسنة. أبو حمزة حيت عينو على الفردوس الأعلى، ما سلكوش خيطي بيطي هاز القوطيات (المعلبات بالدزايرية) والدرابل، أبو حمزة ولا مُهَرِّب ديال البشر. للي مّخُّو نتاصب على الشهادة فسبيل الله، تايديه أبو حمزة. المشية مع أبو حمزة للبوسنة مغامرة مريكّلة فين يبانو الأفلام الهوليودية. يلا زغبني الله نعاود عليها من بعد.

دوك لاصيانات - القدماء - ديال الجهاد، للي فناو أعز أيام عمرهم هازين لكلاشنيكوف، كانت عندهم واحد الهيبة، واحد الكاريسما «سپيسيال»، ما عرفتش واش غير كنا تانتخيلوها ولا كانت بصح، ما كانوش تايهدرو بزاف، أمپوستاحيل يضحكو ضحك عادي، ضحكة صفرة هي الماكسيموم. تا صلاتهم وعبادتهم عموما ماشي طبيعية، دايرين بحال هداوة ديال بوذا، واحد التركيز رهيب. يمكن حيت عايشين فالآخرة كثر من الدنيا. تايقول المثل الصورة أبلغ من ألف كلمة، التأثير ديال هاد جُند الرحمان كان أكبر من أي بروباغاندا جهادية. بنادم مخلط معاك غير بالجسد، أما روحو فراها طايرة بين عوينات الجنة. واخا تكون حجر غادي تتأثر بهاد الناس، خاصة يلا كنتي برهوش بحالي.

كيفما قلت، هاد عسكر الرب كانت هدرتهوم نادرة، وبحالهم بحال أي جندي فالعالم دوز الحروب الطاحنة، ما تايبغيوش يعاودو على لمصايب للي شافو.

لهذا نهار تا يهدي الله شي واحد فيهم وتايبدا يعاود، خاصك تكون حاضر ناضر، وإلا غا تزكّل أحسن القصص.

من بين الحجّايات أو الكرامات للي عاودو لينا، الحادثة ديال مجموعة من الإخوة نفاصلو على الكتيبة ديالهم وتبعوهم السوفييت، المجاهدين بقاو هاربين تا وصلو لواحد الجبل، تسلقو فيه وبقاو طالعين طالعين تا حصلو، ما بقاوش قادرين يزيدو. موراهم الجيش الأحمر تايقرب، الموت هادي! ما كاين تا مخرج! المجاهدين عرفو القضية حامضة، ناضو تيممو وقامو الصلاة، مع السجود الأول، بداو يحسو بالأرض تاتزلزل، كملو صلاتهم بكل خشوع، مين سلمو وطلو موراهم، لقاو الكفار كلهم تفرشخو بالحجر للي طاح من الجبل بتأثير الزلزال!

قصة أخرى، ديال المجاهد الشبح - invisible. هذا مجاهد شيشاني، كان تايدخل وسط الأعداء وما تايشوفوهش!

هاد كاين القصص المشهورة ديال واحد بوحدو وقف قدام الدبابات بْكْلاطَة - بندقية - وقدر يحبسهم، وداك للي طيح هيليكوبتير بجويجة دالبارود.

أنك تسمع شي حاجة، ماشي بحال تعيشها، ولكن مين تاتسمع من ناس كانو فوسط المعمعة، هذا أقرب شيء للأحداث.

الفصل الرابع عشر

العالم الموازي



الجامع داير بحال الثقب الأسود، تايمصك، وتايمص جميع الحواس ديالك، وتاتحصل تما وتاتنسا أن كاين واحد الواقع آخر، كاين حياة أخرى. ما عليك غير تحل باب الگاراج وتبعد شوية، وهانتا فالعالم الموازي، ألمانيا!

ليَّامات الأولى دوزتها بحال التجنيد الإجباري، النعاس والفياق بالوقت، الماكلة بالوقت، العبادة والأنشطة بالوقت، وغسيل الدماغ تا هو بالوقت. اللحظات لقليلة للي خرجت فيهم على برا كانوا بحال الحلم، حالات اضطرارية بزز مني، ورجعت بالزربة لأحضان المسجد الدافئة.

أول خرجة كانت ل Supermarché، كانت الصدمة الثقافية الثانية من بعد الوصول لألمانيا. أنا تانعرف غير الحانوت والهّري. دخلت لقيت الناس تايدورو فمكان كبير، ما لذ وطاب محطوط فالرفوف، أي حاجة بغيتيها تقدر تهزها. ناري شحال ديال المنتوجات، ما كاينش غير دانون واحد، ما كاينش غير فرماج واحد، كاين العشرات ديال الاختيارات، بقيت مدهشر بحال شي دري صغير فمدينة الملاهي.

الناس تايمشيو يشريو شنو محتاجين ويخرجو، أنا خَيّمْت تما! هاد لعجب كامل كاين وحنا ما جايبين للدنيا خبار. الغرب زوين أخويا!

بعد مدة التبحليق هزيت قرعة كبيرة ديال الشكلاط «كْريم» لا غْلا على مسكين، ومشيت حشمان باش نخلص، حسيت براسي بحال يلا ما نستاحقش داك الخير، أوّ؟! قرعة كبيرة ديال الشكلاط ليا بوحدي؟ ونقدر نجي غدا عوتاني ناخذ وحدة أخرى؟! جاني راسي بحال الشفار. وصلت عند مولات «لاكيس»، السيدة الله يعمرها دار، خذات مني دوك جوج فرانك وخلاتني نْخَرّج النّعْمَة.

رجعت للجامع وأنا مازال ما متيقش شنو وقع.

خرجة أخرى درت هي ديال الجامعة، للي فكراتي شوية أنني جيت نقرا فهاد لبلاد السعيدة، ماشي نغمال فالجوامع. مشيت تقيدت فشعبة الآداب الألمانية. أنا جاي من المغرب قاري شي بركة ديال تركيب الجمل وحفنة ديال الأفعال والأسماء، دخلت للقسم لقيت غير الزُّوعر، ما كاين غير أحفاد «شِيلر» و «جوته»! - أدباء ألمان قدام مشهورين.

أنا مقاتل مع الصرف والنحو وهوما تايناقشو فعلوم اللغة، ما كاين غير القاصح، هوما ديجا ختارو هاد الشعبة حيت كانو واعرين فالألمانية، لغتهم الأم. المهم، مهزلة بكل المقاييس. كان هذا فراق بيني وبينهم. من داك النهار ما عاودت قريت لساحتهم. أصلا العلم الشرعي حسن من علوم الدنيا!

الجامع ما فيهش الدوش، مرة فالسيمانة على الأقل، من غير يلا صيدك شي استحلام، كنا تانمشيو لواحد الحي جامعي، تانبقاو قانيين برا على شي طالب يحل الباب، تاندخلو ندوشو بالتخبية وتانْسّلو.

هاد الخرجات للي تايسرفقوك باش تفيق من الكّلبة، المفعول ديالهم تايموت بسرعة بسبب ثقب المسجد الأسود. بحال السحور، غير تاتدخل وتاتشم الريحة ديال الزرابي، «البارابول» ديال الدماغ تايدور لاتجاه سدرة المنتهى.

بغض النظر على الدعوة الإسلامية، علاقتنا بالألمان كانت شبه منعدمة، وغالبا فيها غير المشاكل. واحد المرة دق علينا ألماني حلينا ليه، قال لينا محتاجكم ضروري والأمر خطير، حنا فرحنا قلنا مزيان، الخير جا تا لعندنا، نجمعو معاه الحسنات نْبّلغو ليه الدعوة. حيد سباطو، دخل تجمعنا عليه، جبد الصاكادو ديالو، وخرج منو كتوبة ديال الرسوم الخليعة! تشوكينا! شي وحدين

بداو يعربطو عليه بألمانية مْشْكُودرة، سولتو قلت ليه شنو هادشي؟ قال ليا هادشي ماشي معقول، تايبيعوه فالمحلات وتايشريوه الدراري الصغار، وخاص الكنائس والجوامع يديرو شكاية. تما بان ليا السيد يا إما مزنزن، يا إما داير هْبَلْ تْرَبْحْ وبغى يوسخ المسجد. قلت ليه للأسف ما عندنا ما نديرو، وطلبت منو يمشي. حنا درنا راسنا بحال يلا ما شفنا والو وكملنا نهارنا.

واحد الليلة باردة من ليالي الشتاء، مصطفى - الماناجر - قرر بشكل انفرادي أنه يخرج فنصاصات الليل، باش يلوح واحد الماطلة قديمة مخززة. فألمانيا كاين قوانين، ما يمكنش فأي وقت بغيتي تلوح الزبل تلوحو، وكاين شي حوايج ما يمكنش تلوحهم فأي بلاصة. عندهوم أماكنهم الخاصة.

حنا ناعسين تانحلمو، شوية تانسمعو صوت مصطفى والهدرة بالألمانية بالغوات حدا الباب. البشر شداتو القفقافة. من غيري أنا، تا واحد ما عندو إقامة قانونية.

كلشي ضرب الطم وحل ودنيه، صوت طوموبل، عوتاني الهدرة بالألمانية، ولكن صعيب تفرز شنو تايقولو، التقرقيب حدا الباب، الباب تحل! الضو ديال لّْبِيل - المصباح اليدوي - بدا يلعب حدا الباب، الباب تسد، الهدرة بدات تبعد، رجع الصمت، دقيقة من بعد ناضت فوضى عارمة فالجامع. تا واحد ما عارف شنو طرا ولكن كلشي متشائم. كلنا فهمنا أنهم بوليس

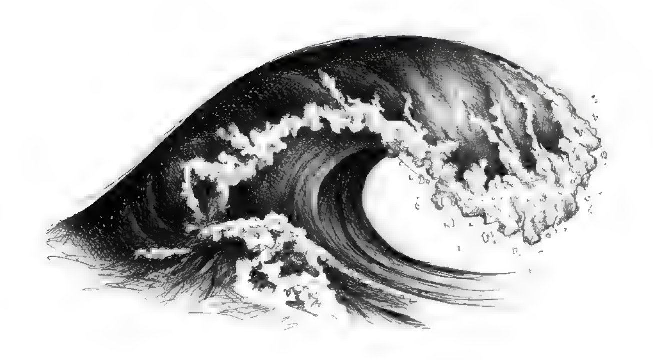
وأنهم قرقبو على خونا مصطفى داوه معاهم، وغادي يستنطقوه ويرجعو يديو بقية العصابة. ردود فعل مضحكة وقعات، واحد بغا ينقز من الشرجم الخلفي ويدخل يتخبا فحديقة ديال الجيران، واحد قالك أنا غير تانشوف لخضورة - لقب البوليس الألماني حيت تايلبسو الأخضر - تايبان ليا مطار الهواري بومدين - مطار فالجزائر - نضرب ولا نهرب! قمة العبث هي مين الباب بدا يتحل عوتاني، جري يا ما تجري، شي تخبى فالحفرة لفوق، شي سد عليه الكابينة، شي تخبى فالدخشيشة VIP وشي مدابز مع شي بحال دوك للي تايتسناو الروز فالمناطق المنكوبة.

- السلام عليكم
- مصطفى؟؟!!
- مالكم؟
- شنو وقع؟

- والو
- كيفاش والو؟ راه سمعنا الصداع
- خرجت نلوح ماطلة وكانو البوليس دايزين بالطوموبيل، شافوني وبغاو يعرفو شنو تاندير، قلت ليهم غير مْخَرّج ماطلة قديمة من الجامع، حليت ليهم الباب، طلو باش يتأكدو ومشاو
- الله يسامحك، كنتي غا تْسَكّت لينا القلب!

الفصل الخامس عشر

The Perfect Storm



الشباب زوين فبزاف د الحوايج، ولكن كارثة فحوايج آخرين، خصوصا يلا ما كنتيش فظروف زمكانية مزيانة. كنت مازال ما كملتش 19 سنة مين هجرت بلادي وفاميلتي وصحابي. واخا دوزت لعجب فصغري وشبابي، تانبقا فآخر المطاف شاب فمقتبل العمر، مازال شخصيتي ما تكوناتش، ومازال محتاج نثبت ذاتي. فريسة سهلة لأي إيديولوجية كيفما كانت.

فالغرب صعيب النفاق الديني، كلشي باين، يا معانا يا مع غانا! داكشي ديال تدير للي بغيتي، وتكذب على راسك بربي كبير والإيمان فالقلب، ڭاع ما مسلكين هنا. من الأول كان خاصني نتاخذ قرار. فالمغرب، كلشي مسلم وتايهدر بالله والرسول، تا للي ما تايطبقو والو. لكن هنا فألمانيا، هادو باينين كفار، وماشي صعيبة باش تفهم أنهم حطب جهنم، وأن الله كاعي عليهم، وأن أي حاجة داروها ما غاديش تشفع ليهم يوم العرض.

الشاب ديما خاصو الجماعة للي يحس فيها بالانتماء، يحس أنه عنصر مقبول وفعال. أسهل جماعة تاتوفر ليك هاد الرغبة الطبيعية هي جماعة

الديـن. الدمـاغ تايبـدا تلقائيـا يتغيـر ويتأقلـم مـع طريقـة تفكيـر الجماعـة، تـا تاتلقـى راسـك مـن أشـد المدافعيـن والمُبشِّـرين، بعـد أن كنـت، غيـر البـارح، مـن المُريديـن.

إسـلام جل المغاربـة هـو إسـلام العجائـز، أو إسـلام فلم الرسـالة كيف تانْسَـمِّيه. إسـلام بسـيط مسـالم. تـا الجماعـات الإسـلامية للـي دوزت، إسـلامهم كان خفيـف مْزَوّق. الإسـلام للـي تلاقيتـو فالجامـع تايهـزك ويخبطـك ويعـاود يهـزك ويخبطـك! الصدمـة كانـت قويـة، وليـت تانشـك فكلشـي، واش هـذا هـو الديـن ولا شـي حاجـة جديـدة دْخّلوهـا فيـه؟ واش داكشـي للـي تعلمنـا فالمغـرب مـا واقفـش علـى الصـح؟ أنـا تانعـرف علـى الإسـلام غيـر الزوينـة، ديـن كامـل متكامـل، وتـا ديـك الحـروب للـي وقعـات كانـت حـروب دفاعيـة، الرسـول وصحابـو مسـاكن تعـداو عليهـم الكفـار ولاد لحـرام وصبـرو، ومـن بعـد دافعـو علـى راسـهم وعاونوهـم الملائكـة. هـاد الأفـكار، زيـد عليهـا التصـاور للـي منقوشـة فمخيلـة المسـلم البسـيط، ديـال الضـواو للـي مشعشـعة مـن وجـوه المؤمنيـن للـي لابسـين بطبيعـة الحـال الأبيـض، ووجـوه الكفـار الشـريرة، خاصـة ليهـود مَّاليـن سـنان الذهـب، لِلـي ظهرهـم مقـوس ويحيكـون المكائـد لأمـة لا إلـه إلا اللّه، وهـا الإسـلام ديالـك كْتامـل.

الـولاء والبـراء، جهـاد الطلـب، الجزيـة، الغنائـم، ملـك اليميـن، أسـواق النخاسـة، قتـل الأسـرى، قتـل المرتـد، نـكاح الأطفـال.. أش هـاد الروينـة؟! لا لا مـا يمكنـش يكـون هادشـي صحيـح، واقيـلا كايـن سـوء فهـم.

المضحـك المبكـي هـو أننـي درت طريقـة، صحيحـة دينيـا، بـاش نتأكـد، لكـن للـي كان عليـا نديـر هـو الطريقـة العقلانيـة للـي تشـكك فالمـوروث الدينـي كامـل. للـي درت هـو مشـيت لمكتبـة المسـجد، للـي وليـت مـن بعـد المسـؤول عليهـا، وبديـت تانقلـب علـى مصـدر كل حاجـة. أوكـي شـنو هـاد عقيـدة الـولاء والبـراء؟ واش جابوهـا مـن راسـهم؟ شـنو الشـواهد عليهـا مـن القـرآن والسـنة الصحيحـة؟ هـاكا بقيـت خـدام مـع كل موضـوع، تـا خرجـت فالأخيـر بنتيجـة أن يـلا عتامدنـا علـى المراجـع المعتمـدة عنـد المسـلمين، إذن هـذا هـو الإسـلام الصحيـح، والإسـلام المغربـي هـو إسـلام «بوتسـواني» لا علاقـة!

ميـن وصلـت لهـاد الحقيقـة تحطيـت أمـام الأمـر الواقـع: واش غـا نتبـع أي حاجـة قالهـا اللّه والرسـول، ولا غـا نديـر عيـن ميكـة ونلعـب غمِّيضـة مـع اللّه؟ كأي شـاب صغيـر، وفديـك الظـروف، كانـت النتيجـة محسـومة مسـبقا.

كَبّرْت اللحية المنتوفة، دْبّرت على قميص باكستاني وقبعة أفغانية، والمسواك والمسك ما بقاوش يخطاوني. التحول ولى داخلي وخارجي، وحس المنافسة للي تاتكون عند الشاب، زاد شعل الستون وسْرّعو.

ما بقاتش سميتي هشام، وليت أبو إسلام، إسلام للي غادي نولدو شي نهار نشاءلله!

القيمة ديالي فبورصة أسهم المسجد طلعات طلعة مكوكية، وليت وجه معروف عند الجميع، للي حتاج شي لعبة من الجامع تايسولني، كتاب، شريط، فول مدمس، بل حتى الأسئلة الدينية ولات تاتعرض عليا! حيت حنا للأسف أمة تاتركز على المظاهر، تاتركز على الحفظ أكثر من الفهم، وعلى الشخص أكثر من المضمون، وكأني أصبحت فقيها بارتدائي لملابس المجاهدين.

وليت على القرص، حاضي السيئات بحال الملاك للي تايْكّنّش على يساري. ما نسمع موسيقى، ما نشوف تلفزة، ما نخرج من فمي كلمة ديال العيب، نسبيا، لأن كاين فالقرآن والأحاديث بزاف ديال العيب، خاصة تجاه الكفار، ولكن ماشي موضوعنا هنا.

أكبر تحدي بقى ليا هو غض البصر، لأن فألمانيا أينما وليت وجهك فتم مؤخرة ساخنة أو كواعب فاتنة.

أخطر ألغام الفتنة واحد الحديقة فمركز المدينة. فوقما كنتي دايز تما، تاتطل عليها من فوق القنطرة. بحر ديال الحفاة العراة، المئات تايشارجيو الڤيتامين «دي» بلا حشمة بلا حيا.

الهورمونات فأيام الشباب تاتكون خارج السيطرة، تاتلقى راسك ديما مدابز مع البيولوجيا. الإستمناء طبعا ممنوع، رغم تساهل بعض الفقهاء، ولكن واش ترضى يشوفك الله فداك الموقف الوضيع؟ معاناة حقيقية تاتبردها مؤقتا بوعد بالجنة.

من أكبر السلبيات ديال التحول هو أنك تاتولي تْخْنْدْق الناس، هذا كافر عدو الله، هذا عاصي، هذا فاسق، بل حتى دوك للي ما تايجيوش يصليو الصبح، ما تاتبقاش تحملهم. العداء ديالك تجاه ألمانيا، والغرب عامة، تايتضاعف. كنا ديما تانحلمو باليوم للي نفتحو فيه هاد لبلاد الداعرة والألمان يحطو الجزية عن يد وهم صاغرون. ومع مظهري الخارجي ولى تايخلع الألمان،

نظرتهم العدوانية زادت، وكلما زادت، زاد الحقد والكره ديالي ليهم، حلقة شيطانية، ما يمكن تسالي غير بشي فضيحة.

التحول السريع قربني بشكل كبير من مَلَكَي المسجد، محمد ومحسن، كانوا تايْكَبّروا بيا وتايقدموني أحيانا نصلي بيهم.

داكشي للي وقع ليا كان كيفما تايقولو بالإنجليزية The Perfect Storm، العاصفة الكاملة، عاصفة الإيمان، وربما الإحسان.

الفصل السادس عشر

ما كرهتش نموت



«من مات ولم يَغْزُ، ولم يُحَدِّثْ به نفسه، مات على شُعْبَةٍ من نفاق»

هاد الحديث هو أكثر حاجة كانت مسببة ليا الرُّعب. ما بغيتش نكون منافق، وفنفس الوقت أنا مازال صغير وعندي أحلام كثيرة باغي نحققها، باغي نتزوج، نخدم، ندير وليداتي وزيد وزيد.

دخلت فأزمة نفسية. المسلمون يُذَبَّحُون فالبوسنة وأنا قادر نعاونهم ومْرَيّح. كلما وصلات أخبار جديدة، عن طريق منشورات أو شرائط فيديو جهادية، كلما زاد الحماس، كلما زادت العزيمة.

بزاف تايمشيو غالطين فالقضية ديال شنو فعلا تايأثر على الإنسان باش يمشي للجهاد؟ أكيد كاين ظروف ملائمة وعامل السن، ولكن فيما يخص «البروباغاندا» الجهادية، الطوب ديالها هوما الأناشيد!

الأناشيد الجهادية دايرين بحال المخدرات، كنا تانسمعو ليهم بالساعات كل يوم، تاتحس وكأنك هاز مكحلة - بُنْدُقِيَّة - مع خوتك فأرض المعركة. كنا

تانحفظوهم وكانوا فالحقيقة، اللي ما يقدر تا مسلم يعتارف بيها، أحب لينا من سماع القرآن!

مين تايجي أبو حمزة من البوسنة، كنا تانوصلو للذروة ديال تأنيب الضمير، ها الباب مفتوح لنصرة إخواننا، ولكن أنا منافق يمكن، لا منافق نيت! واش ما عنديش ثقة فالله؟ واش مازال تانشك؟

أول مرة تلاقيت أبو حمزة، كنت راجع من الدوش لمخبع ديال الحي الجامعي، دخلت سلمت على الإخوة بصوت عالي، قالو ليا نهدر غير بشوية الأخ أبو حمزة ناعس

- شكون الأخ أبو حمزة؟
- ما تعرفوش؟
- لا
- حكيت لك عليه، هو للي يروح للبوسنة يمد المساعدة للإخوة
- هو للي تانجمعو ليه لحوايج والماكلة
- واه
- ما شاء الله

أبو حمزة كان تاينعس فديك البلاصة VIP باش يرتاح من تعب الطريق. أنا كمسؤول فالجامع، وليت خدام مع خونا المصري بحال «المَرمَطون»، ديما مقدميني، تانمشي معاه فالبيكوب ديالو لأي بلاصة بغا يقضي فيها شي شغل، ما خلينا تا قنت. قدرت نتعرف عليه وعلى شخصيتو مزيان. إنسان بسيط بزاف فتفكيرو، ومؤمن صادق، جل كلامو داير على حلم تأسيس دولة الخلافة.

ما عمرو جبد معايا الموضوع ديال علاش أنا ما ناويش نمشي نجاهد، ولكن كان تايعاود تا هو على الكرامات والأمور العجيبة للي تاتوقع للمجاهدين. تايدير الدعوة حسي مسي.

واحد الراس كان تايقول ليا، صافي أ صاحبي هانتا تاتعاون فالسيد، تا هذا راه جهاد، راك خدام مع المجاهدين بطريقة غير مباشرة. واحد الراس آخر

تايقول ليا، باراكا من الكذب على النفس، هذا ما جهاد ما والو، الناس الصادقين راهم تما واقفين فالثغور، ماشي تايضربو الشكلاط فألمانيا!

كنت تانحاول ندير التوازن ونلقى تخريجة مع الله بالدعوة مع الألمان. كنا تانخرجو على الأقل مرة فالشهر للشارع التجاري الرئيسي فالمدينة، تانحطو خيمتنا ونبداو نوزعو المناشير الإسلامية ونبيعو لكتوبة المترجمين. كانت تجربة زوينة فديك الوقت، لأنها تاتحسسك بنوع من التفوق على الألماني. واخا بلادكم، وعندكم التقدم والازدهار، ولكن حنا عندنا الحق، والله للي خالقكم وخالق كلشي راه معانا. بحكم أنني تانعرف نهدر بالألمانية أحسن من الأغلبية ديال الناشطين الدعويين، كانوا تايكلفوني نشرح للألمان الإسلام. التدليس في أبهى تجلياته! تانعطيو للألماني أجمل صورة على الدين، وتانبررو، بالكذب للأسف، أي حاجة تايشوفها الآخر أنها لا أخلاقية. أي هدرة على الجهاد تانحولوها لجهاد النفس وأن الحرب المقدسة مصطلح مسيحي ما عندوش علاقة بالإسلام، وتانبداو نبكيو بدموع التماسيح، ونفكروهم بالحروب الصليبية ومعاناة المسلمين دابا فالبوسنة. عامرة فخاوية بْرّق ما تقشع!

ما عمري ننسى واحد المرة، مشينا لمدينة فغرب ألمانيا سميتها «دورتموند»، تلاقينا تما الإخوة في ما يسمى ب «الرِّباط»، ماشي بالشكل الصحيح ديال الرباط فالثغور، كنا غير تانتجمعو فدار، تاتكون دروس وحلقات ذكر وقيام. واحد الفلسطيني دار لينا درس على التحديات للي تايواجه المسلم فألمانيا، قال لينا خاصكم تستاغلو الفرصة، الإسلام موضة دابا فألمانيا، الألمان عندهوم اهتمام يعرفو أكثر عليه.

فواحد الثانية ديال العقلانية، قال ليا عقلي شنو هاد التخربيق؟ كيفاش موضة؟ والله للي «مصيطر» على كلشي فين هو؟

للأسف فداك الوقت، أي شرارة صغيرة ديال لعقل، كنت تانخوي عليها برميل ديال الما الميتافيزيقي وتاتموت.

ليلة من بعد، كنت طاوي ركابيا مع لخوت، وتانسبح وتانستغفر الله معاهم، وصلت لدرجة جديدة ديال الإيمان، حسيت بالله كاين معايا بصح! واقيلا أول درجات الإحسان؟ درت عند واحد الأخ على ليمن، قلت ليه، وكنت تانقصد كل كلمة قلتها:

- ما كرهتش نموت فهاد اللحظة!

الفصل السابع عشر

أنتم السابقون ونحن اللاحقون



أنني نمشي للبوسنة ولات مسألة وقت فقط! وقت طويل شوية، ولكن كان ضروري. أبو حمزة بدا يعمر البيكوب، الدراري دالجامع كلهم تايعاونو، إلا محسن ومحمد غابرين. للي سولتو عليهم ما عارفش فين كاينين. ما هتميتش للمسألة، قلت الغايب حجتو معاه.

ودعنا أبو حمزة ووصيناه يدعي معانا فالسفر، ويبلغ سلامنا للمجاهدين.

وصل وقت المغرب، مازال ما كاين تا خبار على محسن ومحمد. لا، هادي ماشي نورمال! مستحيل يزگلو الصلاة فالمسجد. واش سافروا؟ نعم سافروا، ولكن للجهاد!

السيناريو شرحو ليا مصطفى من بعد:

- راه مشاو مع أبو حمزة
- سبحان الله كي دارو ليها؟ علاش ما شفناهمش؟ و علاش ما سلموش علينا؟

- استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان
- لا إله إلا الله! بغيت غير نعانقهم

حسيت بالشمتة، عيني غرغرو بالدموع، حيت محسن ومصطفى ولاو أكثر من خوتي، نقدر نتخيل راسي نضحي بحياتي من أجلهم.

داز عليا النهار عذاب، كنت عارف أنهم بجوج كانت عندهم نية الجهاد، وكانو ديما تايهدرو على الرغبة فالشهادة، ولكن ما تخيلتش أنهم غا يدوزوا للتطبيق بهاد السهولة. خصوصا محمد، للي كان الوحيد ديال واليديه، وكان ديما تايحلم بالنهار للي يعاود يشوفهم فيه. كيفاش سمحات ليه نفسو يغامر بحياتو ويعذب واليديه؟ هاد السؤال وأسئلة أخرى تجاهلتها بالزربة وسَبِّبتها فالشيطان.

دازت الأيام، الإخوة خلاو بلاصتهم كبيرة فالجامع، تا حاجة ما بقى عندها طعم، بحال يلا خويتي المسجد من الروح ديالو. قيمتهم كانت أكبر من داكشي للي كنا تانظنو.

جتاهدت فالعبادة والدعاء أن الله يحفظهم ويرجعهم سالمين غانمين، رغم أن واحد الإحساس عميق فداخلي، كان تايقول ليا أنني ما عمري غا نعاود نشوف خوتي!

عرفت من بعد أنهم مشاو بالتخبية لدواعي أمنية، حيت يقدر يكون الجامع مُراقب، ومع هوما ما عندهمش لوراق، غا يمشي فيها تا أبو حمزة يلا حصلوا.

الغُصَّة للي بقات فصدري، عوضتها بوعد مني لله تعالى، أنني المرة الجاية مين يرجع أبو حمزة، غا نلحق عليهم!

مع أنا مغربي والمغاربة أبواق، ما خليتش السر بيني وبين المولى عز وجل، رُوَّاد بيت الله كلهم عرفوني قريب نودع.

ردود الفعل كانت جد متباينة، كاين للي زاد شجعني وفرح بيا، وكاين للي صدمتو وحاول معايا بشتى الوسائل أنني نغير رأيي. للي عاوني باش نصمد وما نْتْخَلّفش يوم الزحف هو حالتي العائلية، أنا ما مزوجش، ما عندي ولاد، واليديا ماتو شحال هادي، وخوتي، واخا مازال عايشين، الشهادة ديالي يلا تحققات غا تكون مزيانة ليهم، لأن الشهيد يشفع في سبعين من أقاربه.

شهر داز، شهرين، ثلاثة، مازال ما كاين تا شي خبار على محسن ومحمد، ألمانيا فداك الوقت كانت فبني غفلون، كانو تايجيونا شرائط الفيديو ومنشورات المجاهدين فيهم آخر الأخبار من قلب البوسنة، كنا تانحطوهم حدا الباب، للي جا يصلي تايّدِّي معاه ما يعاود.

ولينا تانْفَلّيوْ كلشي، تانقلبو على أي خبار، ولا غير نص خبار، مذكور فيه محسن أو محمد. والو، ديما والو! ما عرفنا واش نفرحو ولا نبكيو.

بقينا على ديك الحال تا دقات ساعة العمل، أبو حمزة رجع بعد غياب طويل.

مصطفى كان تايشطب برا حدا باب الكَاراج، تا تانسمعوه تاينهج بالبكا، بحال لمرا للي مات ليها الراجل، شوية تانسمعو صوت أبو حمزة وفهمنا السيناريو. خرجنا تانجريو تانعنقو وتانبكيو بالفرحة. غير استرجعت الأنفاس سولت أبو حمزة

- ماذا عن محسن ومحمد؟

شقمني جمال قبل ما ناخذ الجواب

- وش بيك؟ قارع - تسنى - خلي الأخ يرقد ويرتاح

دخل أبو حمزة لبلاصتو ينعس، وبقيت أنا عاصر عليه، بحال أبو أيوب الأنصاري مين بقا سامر حدا خيمة الرسول فليلتو مع صفية. فوقاش غا يفيق؟ مالو غَيّب تْغْييبة ديال أهل الكهف؟ ما يعتقني غير وقت المغرب. نضت أنا نيت نْوَدّن، وطلقت العنان لحبالي الصوتية باش تا للي مات يفيق!

تانصلي وبالي فبلاصة أخرى. بالي مع شنو غا يقول لينا أبو حمزة على محسن ومحمد. أطول و أثقل صلاة مغرب حسيت بيها. بعد السلام والتسبيح والدعاء والتأمل والتكمكيم كامل، قصدت صاحبنا نيشان

- هل فيه أخبار عن الإخوة؟
- نعم الحمد لله، معي أشرطة؟

قلبي ولى يضرب بسرعة كبيرة، فرحة مخلطة مع الوسواس، حيت مازال ما شديتش راس الخيط

- ما شاء الله، كيف أحوالهما؟
- رزقا الشهادة ولله الحمد والمنة

ها للي قالت الشوافة! قلبي بغا يحبس، وليت تانترعد وتانعرق فنفس الوقت. أسوأ خبر سمعتو من بعد خبر وفاة الوالدة.

تخربق ليا الكابلاج ديال الدماغ، درت واحد الحاجة عجيبة، للي لحد الآن مازال ما قدرتش نفسرها. مشيت للبلاصة فين حاط حوايجي، كانو بزاف ديال الخْرَّاكَة تايخليو لعيبات ذات قيمة عندي، حيت أنا ثقة. من بين هاد اللعيبات، واحد «الوالكمان» - جهاز كاسيط محمول - ديال الأخ حمدان. هزيت الوالكمان وخرجت برا، ريحت فوق الطروطوار وضغطت على play، وْدْنِيًّا غفلهم وصدمهم الشاب مامي تايغني ديسك البوليسية. عينيا ما بغاوش يحبسو من البكا، الراي والتهرنين، تا خويت قلبي. علاش ما قطعتش مزامير الشيطان وبقيت تانسمع واخا أنا عارف أنني أغضب الله؟ ما نعرف، وربما ما عمري غا نعرف. واقيلا كان غير ضعف فالبروتينات الإيمانية فحالة نفسية استثنائية.

ديك الليلة مور لعشا، تجمعو لخوت على التلفزة، تايتفرجو فالكاسيطات للي فيهم محسن ومحمد. أنا ما قدرتش نتفرج ومشيت نعست. كل ما تانتذكر خوتي، تا نندم أنني ما تفرجتش وماعطيتش لراسي فرصة نشوفهم آخر مرة، قبل ما يفارقو الحياة فعز شبابهم.

بزاف ماتوا، وبزاف مشاو ورجعو، وبزاف بقاو تما، وبزاف بحالي هازين الصاكادو فوق ظهرهم، وما عارفينش مازال واش يْزْطمو ولا لا؟

الفصل الثامن عشر

وإنا إلى ربنا لَمُنْقَلِبون



داخت ليا الحلُّوفة، ما بقيت عارف فين نعطي الراس. ديك العزيمة لكبيرة للي كانت عندي قبل ما نعرف أن محسن ومحمد استشهدو/تقتلو، مشات فالكلام الفاحش. وليت بحال السفينة بلا بَوصَلَة. واحد لعقل تايقول ليا هادشي ما مْنُّوش، آش تاتخربق؟ واش جيتي تقرا وتبني مستقبلك، ولا تمشي للحرب تموت؟ وواحد لعقل آخر تايقول ليا هذا ابتلاء، وهنا غا تْبَيّن أنك مؤمن ديال بصح والشيطان ما يقدرش يلعب بيك.

كلشي حس بيا أنني تبدلت وما بقيتش كيف كنت، تا واحد ما زعم يسولني واش مازال عندي الرغبة نمشي للبوسنة. تا أبو حمزة شد تيقارو معايا، ما طلب مني تا مرة نعاونو ولا نقضي ليه شي تويشية.

الوقت داز بالزربة، بدينا عوتاني نوجدو المأكل والملبس لخونا المصري باش يديهم معاه. بقات يوماين ويشد الطريق، ما بقيتش قادر ننعس بالتخمام، وليت مقاتل مع راسي، مع النفس ديالي للي كنت واثق أنها أمَّارة بالسوء وما باغاش ليا الخير، تْبْعَات الشيطان، وما بغاتتيش نوصل لذروة سَنَام الإسلام، الجهاد. للي زاد أزّمني نفسيا وكبّر المعضلة للي أنا فيها، هو الأخ علي اليمني. هاد السيد كان ياللّه جا لألمانيا وبدا لقراية فجامعة طب مشهورة.

فعوض ما يكون دابا مريح تايراجع الدروس ديالو، ولا تايْوجّد باش يمشي للقسم، هاهو تايصلي معانا الصبح وقاني على أبو حمزة باش يمشي معاه للبوسنة يجاهد!!

داك الصباح كانت فيه واحد السما حمرا عجيبة سبحان الله، مين تاتكون محشش بالروحانيات، أي حاجة تقدر تلقى ليها شي تأويل مريكّل. السما حمرا حيت تاتعكس الدماء ديال خوتنا فالبوسنة، السما تاتبكي بالدم، هادي علامة ربانية، الله تايقول ليا جمع قلاوعك وسير تدافع.. وسط الغيبوبة «الماوراءطبيعية» تانسمع صوت أبو حمزة

- حَتيجِي ولا لأ؟
- ما.. ماذا؟
- لِسَّه فيه حاجات لازم نجيبها من عند إدريس، تيجي معانا تَساعدنا؟
- نعم أكيد، طبعا طبعا

ركبت فالبيكوب ومشينا عند دريس، دريس مغربي من فاس دارهم لاباس عليهم، كان تايبرعنا بالحلوى المغربية فالمناسبات. مرتو كانت خدامة فشي مخزن ديال الملابس، وكانت تاتجيب معاها داكشي للي تايتلاح. دريس كان الإسلام ديالو خفيف، ولكن كان عزيز عليه يبان أنه كريم وتايدير الخير، ولقى فحوايج الشّياطة الفرصة باش يْلَمّع الصورة ديالو.

هزينا لخناشي من عندو، وقصدنا الجامع باش يرجعني. فطبيعتي أنني تانتاخذ قرارات مصيرية فرمشة عين، أبو حمزة ما بيه ما عليه تانقول ليه

- لا ترجعني للمسجد
- عايز تروح مكان ثاني؟
- سأذهب معكما إن شاء الله!

صدمتهم، وجوههم تخلطات فيها الفرحة مع الدهشة

- فكرت كويس؟
- نعم الحمد لله

اليمني تا هو بدا يهلل، فرحو بيا وعنقوني بحرارة، حسيت براسي بحال شي بطل ديال الأفلام.

- طيب، بس حتحتاج جواز سفرك وملابسك
- ألن نذهب بطريقة سرية؟
- آه، بس ناخذ احتياطاتنا بردو

أبو حمزة كان عندو الحق، مع أنا واليمني عندنا إقامة قانونية فألمانيا، يلا شدونا صحاب الحال فشي قنت، على الأقل نقدرو نسلّكو راسنا شوية، ماشي بحال يلا شدوك حارڭ.

دزت للجامع، لقيت غير مصطفى وجمال، مصطفى فرح بزاف بالقرار ديالي، جمال حسيت بيه ما مرتاحش، خذيت صاكي دلحوايج، درت فيه الباسبور، تسالمت مع لخوت، وتوكلت على الله. هنا تايبان الفرق مزيان، ما بين واحد شارب عقلو، ناضج وعندو تجارب فالحياة، وواحد باقي «سطاجير» فهاد الدنيا، كيفما كنت أنا فداك الوقت. الشن الطن، هانا غادي لبلاد ما تانعرف عليها وعلى ناسها والو، بلاد شبعانة حرب وقنابل. عائلتي فالمغرب ما عندهوم خبار، فرحانين بخوهم فألمانيا تايقرا وتايْصَوّب فمستقبالو.

- كم سنحتاج من الوقت؟
- 15 ساعة إن شاء الله، لكن بحسب ال situation

أبو حمزة شعل القرآن بصوت المحيسني، مع الرنة والغنة والتزنزين ديال الموطور، دخلنا كلنا فواحد التبنكّيلة صوفية، نسيت راسي فين أنا، وفين غادي، واكثر من هادشي، علاش غادي؟

ضربنا جنوب ألمانيا كامل تا للحدود النمساوية، وصل وقت الظهر، درنا جمع تقديم – شْرَكْنا الظهر والعصر – فواحد المنطقة جبلية خلابة، كون ما شفتهاش بعيني ما نتيقش أنها كاينة.

- خُشّو تحت البطانية!

دوك لحوايج كاملين للي داينهم، كنا مغطيينهم من الفوق بالكواش، باش ما يبانش داكشي معيق

- لماذا؟
- حَنعَدِّي الحدود

ما عرفتش بالضبط علاش بغا يخشينا تحت الكاشة. ربما حيت هو عندو باسبور ألماني، ما غا يهدروش معاه يلا وقفوه، حنا بالمقابل غا ندخلو فسين

وجيم. مازدناش معاه الهدرة، لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تسؤكم، هو الأمير ديالنا، تْكَشْوّشْنا مع الميكات والكراطن وقطعنا الحس.

شي ساعة وأبو حمزة تايخبط فالطريق، دخلنا للنمسا وخرجنا من الكاشة. حسيت براسي بحال دوك المغامرين الواعرين، واخا هاد لبلاد راك بحال يلا مازال فألمانيا. درنا السياحة الشرعية فالنمسا، غسلنا لعوينات فالطبيعة، كلينا وصلينا. شديت الستون مع علي اليمني رفيق السفر، عرفت أنه يتيم بحالي، خوه شي حاجة كبيرة فالبيزنيس، هو للي دّبّر عليه باش مشا لألمانيا. كون عرف الأخ لمْرّفّح أن مجهوداتو غادية تمشي فبيكوب للبوسنة، كون واقيلا ݣاع ما يديرها.

بدا الظلام يطيح، حسيت بأبو حمزة متوتر شوية. واخا عندي مع الجغرافيا، ولكن التركيز ديما كان على الدول لمْنعّمَة، داكشي ديال يوغوسلافيا والبلقان و«شطويتسكوف» خاطيني. بدينا ندخلو ونخرجو فشي طرقان لا علاقة. شداتني القفقافة فبعض اللحظات. الغريزة ديال الخوف تاتبقى ديما حاضرة ناظرة.

- خُشّو خُشّو ثاني!
- الآن؟
- أيوا، وخَلِّيكُو ساكتين

دخلنا ثاني تحت البطانية، ولكن هاد المرة كان الإحساس مقوّد بزايد، مع الليل وريحة الخطر. اليمني تا هو بان ليا تايقيبري وتايدندن بالأدعية ولا ما نعرف. حالتنا فكراتني بالرسول مع أبو بكر فالغار، غير حنا كنا «ثاني اثنين إذ هما تحت اللحاف إذ يرتعد رعبا ولم يقل لصاحبه شيئا»

دازت مدة طويلة مخبيين، تكرفست نفسيا، خصوصا مين تانحبسو وتانسمعو أصوات تاتهدر بلغة مخرمزة. أوّاه؟ واش نسانا ولا شنو؟ عرفتو غادي بالتدويرة، باش يدوز بلا ما نْتقلّبو، ولكن طوّل علينا بزاف.

واحد الشويطين صغير فودني، تايقول ليا للي خشا راسو فالتبن ينقبوه الدجاج. آش دّاني لهاد الويل؟ يقرقبو علينا الصرب، مشينا كفتة! شوية تا نلعن الشيطان، وتاندير الثقة فالله ثم فأبو حمزة للي المفترض حافظ الطريق، وعارف ݣاع لقوالب.

سرحت مع التخرشيش دالميكات، والتقرقيب ديال حديد البيكوب، وصوت الروايض، ما فقت غير مع فران «سيك» صحيح، الطوموبيل حبسات وبقات حابسة.

- علي! هشام! الحمد لله كلو تمام!
- وصلنا للبوسنة!؟
- لأ، إحنا لسه فكرواتيا، حنستنا أحد الإخوة يوصلنا للمعسكر

الفصل التاسع عشر
البوسنة



أول طلة من تحت الكاشة، مازال الدنيا مظلمة، سطاسيونينا فواحد الباركينغ، فرق كبيير مع ألمانيا. لكن أنا ما جيتش نْفَوّجْ، جيت ندير الواجب ديالي الإسلامي. قْمْقَمْنا تْميرات جبناهم معانا، مع واحد العصير ديال المانجو، باينة فيه غير الدشاش ديال الفاكهة والباقي كلو سكاكر. صلينا المغرب والعشاء جمع تأخير، وبقينا تما تانتسناو يجي عندنا الأخ للي غا يقْطّعنا. تا لجوايه الجوج ديال الليل/الصباح، هاد بان أبو خالد السعودي، راجل كبير فالعمر وعندو هيبة، لابس سروال أفغاني ولكن مغطيه بمونطو طويل، خاشي المسواك ففمو، وتايهدر بحال المشايخ السواعدة. رحب بينا بحرارة وبدأ يشرح المستجدات لأبو حمزة.

الكرواتيين ولاو مزيرين اللعب على المجاهدين فالعبور للبوسنة، والخبر للي كفس من هذا، خاصة لطالبي الجهاد، هو واحد الاتفاقية - اتفاقية «دايتون» - ياللّه تّسّنات، باش يجمعو ويطويو مع الحرب.

بقينا عاصرين تا صلينا لفجر وتوكلنا عالله، فكراتني الدخلة ديال الحدود البوسنية بالدخلة ديال سبتة، الفرق هو ما كاينش دوك الجحافل ديال صحاب «الكونطربوند»، الدنيا تاتصفر مع النبُّوري، أبو خالد وّرَّانا مين ندوزو، بلاصينا البيكوب، وقف علينا واحد، خرج عندو السعودي تفاوض معاه، ما عرفتش واش دهن السير، ولا سّلّكها بربي كبير. المهم دزنا.

كانت عندي فكرة غبية على البوسنة بسباب الفيديوهات، للي كنا تانشوفو فيهم غير ساحات القتال بحال أفلام الحرب الأمريكية. كنت خايف لا نوصلو، يبداو القنابل يصّبُّو علينا من السما، ولا القنّاصة يّطّيّرونا واحد بواحد من الشواهق. ربما حيت جيت معطل، والحرب رسميا سالات، ولكن أغلب الطرقان للي دزنا منها كانت عادية جدا، دولة أوروبية متخلفة نسبيا. الناس عايشين نورمال.

أبو خالد بّلّبال، ماكينة ديال الهدرة، خّسّر ليا الفكرة للي كانت عندي على المجاهدين. ݣاع ديك الكاريزما للي كانت تاتشعشع منو فالأول مشات فالباياي. كون غير بقى ساكت! داير بحال مالين الطاكسيات، تايهدر فجميع المواضيع، السياسة، الزواج، السفر، لفلوس، الرياضة.. واحد الشيطان بدا يوسوس ليا، ياكما الجهاد تايحمّق؟

من بعد شي ساعة ونص ديال الصُّوݣان، وصلنا لواحد لعروبية. ديجا مين قربنا، بانو لينا بزاف ديال العسكر فالطريق، أبو خالد مع عارفنا جداد، شرح لينا أن هاذو العسكر البوسنيين، ناس طيبين، ولكن محتاجين للي يجدد ليهم الدين، خاص شي محمد بن عبد الوهاب بوسني! سطاسيونينا، هبطنا وبقينا نتسناو عوتاني تا جاو الإخوة بواحد الكاميو صغير، عانقناهم، وبدينا نشارجيو فالكاميو داكشي للي جبنا معانا. الإخوة للي جاو عطوني فكرة على شنو تايتسناني فالمعسكر.

الجنازة كبيرة والميت فار. مرة أخرى الخيال ماشي بحال الواقع. كنت تانعتاقد أنني غا نلقى جيش إسلامي جَرَّار، لا أول له ولا آخر، واقف فالجبهة لمواجهة أحزاب الكفار، لكن لقيت عشرات، واقيلا ما كاملينش تا مئة!!!

بحال الكامبينغ camping كل مجاهد آش تايدير، أغلبهم هازين مصاحف ديال الجيب تايقراو فيها لجمع الحسنات. ما حسيت فديك اللحظة بتا شي دفعة إيمانية، يمكن داك للي تايّفلّق الشيطان بالحجر فالحج، تايحس بالرعشة أكثر مني. ربما مين تاتكون مّطلّع سقف التوقعات بزاف، أي حاجة قّلّ، تاتصدمك.

التركيبة البشرية كانت يمنية سعودية بالأساس، كانو بعض الشيشانيين وشي بركة ديال مصراوة والمغاربيين. كلشي مْخَنْسر تما، ولكن واصلين لسطاح الوحش فالإيمان. الصور ديالهم هي الصور النمطية للي عند أي واحد على المجاهدين، الشعر الطويل، اللحية طويلة أو منتوفة حسب الجينات، وكْميشة ديال الاستثناءات. واحد بوسني ما دايرش كَاع اللحية!

علي اليمني مشى تكونيكطا مع عشرانو اليمنيين، أنا بقيت لاصق فأبو حمزة، فين ما مشينا تانديرو الصواب، السلام السلام، بارك الله فيك، جزاك الله خيرا، أخوكم في الله أبو إسلام.. «الإتيكيت» الإسلامي.

مع الظهر ناض واحد الأخ يْوَدّن، فين يبان بلال، التأثير ديال الأذان كان عندو وقع عجيب عليا، بحال يلا قاد ليا الميزان د الإيمان، للي ضعف بسبب تناقض النظري مع التطبيقي. هاد القضية بقات تاتدير ليا حريق الراس. علاش المؤمنين خصهم ديما يفكرو راسهم بالإيمان، عن طريق الصلاة أو الصيام أو قراءة القرآن؟ علاش خاص ديما الروشارج؟

الفصل العشرون

الجهاد؟



يومايـن ديـال التسخسـيخ فالمعسـكر، المـوت ديـال البـرد، زائـد لا نعـاس زيـن لا ماكلـة تْفْـرّح، فهمـت تقريبـا لبـلان كامـل! مـا جـاوش بـزاف للجهـاد فالبوسـنة، وأكثـر للـي جـاو، رجعـو لبلدانهـم. الجيـش البوسـني هـو للـي متحكـم فكلشـي، المجاهدين للي جايين من برا، غيـر خضـرة فوق الطعـام. ديك الغـزوات الكبرى ديالهـم، والهايلالـة للـي تايصـورو فالفيديوهـات، غيـر نقطـة فبحـر، بحـر ديـال الصـراع البوسـني الصربـي الكرواتـي. نقـدر نمثلها بشـي لعـاب ديـال كـورة، مشـى علـى أسـاس غايلعـب مـع البارسـا ويحصـد الألقـاب المحليـة والدوليـة، لكـن ميـن وصـل، لقـا راسـو ففرقـة ديـال الهـواة، مـا عندهـومش تـا التُّونيَّـات!

المعـارك، أو إن صـح التعبيـر، المناوشـات للـي كانـو تايديـرو، كانـت قليلـة ومتفرقـة، وتمـا كانـو تايموتـو منهـم بـزاف نسـبيا، بالمقارنـة مـع الجهـاد ديـال أفغانسـتان مثـلا، للـي كان منظـم وكان عندهـوم فيـه دور مهـم. للأسـف هـاد الحقيقـة زادت أزّماتتـي أكثـر، لأنّنـي عرفـت أن استشـهاد محسـن ومحمـد مـا

كانش بديك الصورة البَرَّاقة للي كنت تانتخيلها، صورة استشهاد الصحابة فالأفلام الدينية.

الخبر الزوين فهادشي كامل، واللي أكيد نقذني من موت شبه محقق، هو أن الأنشطة الجهادية حبسات مؤقتا، حيت كانت مازال المفاوضات جارية مع الجيش البوسني واش يكملو القتال ولا لا. تا فهاذي بان ليا العيب واضح. البروباغاندا الجهادية تاتقول أن المجاهدين للي جاو من برا، هوما للي ركّعو الصرب وحاماو على المسلمين، وبلا بيهم كون مشات البوسنة خلا. ما نقدرش نحكم على الصراع كامل من نهار بدا، لكن على حساب ما شفت، البوسنيين كانوا هوما صحاب القرار وقادِّين بصوالحهم، المجاهدين كانو غير مْصَدّعين الوقت ولاصقين بحال ذبانة لحمار!

الإنسان، بحالو بحال جميع الحيوانات الاخرى، عندو قدرة عجيبة ديال التأقلم مع البيئة. مازال ما كملناش تا سيمانة فالمعسكر وليت بيخير، تانعرف فين ندخل ونخرج، تصاحبت مع قشلة ديال اللحايا، ووليت محسوب على أبو حمزة، أي حاجة عندها علاقة بالحوايج والكواش والقوطيات أنا مولاها. واقيلا مكتوب عليا نكون ديما مسؤول على شي تخربيقة، المكتبة فالجامع، والشراوط والكونسيرڤ فالمعسكر.

فرحة أخذ تأشيرة الجنة عن طريق الشهادة ما غا تصدقش. للأسف، أو لحسن الحظ، البوسنيين ما عندهومش قصوحية الراس ديال لعرب، مازال ما باغيينش ينتاقلوا للآخرة قبل الوقت، تايفكرو بعقلانية، باغيين يبنيو بلادهم، الله يجعل شي بركة، الماضي فات، نبنيو داكشي للي رَيّبات الحرب. الجيش البوسني قال للخوت سدات مادام! شكرا على الزيارة، ما محتاجينكمش، تفضلو قلبو الروايض وآخر واحد خرج، يسد الباب موراه!

المجاهدين تفرقو لجوج فِرَق، صحاب لعقل للي فهمو راسهم وجمعو قشاقشهم ومشاو لمنين جاو بكل روح رياضية، ومساخط الوالدين للي شادين بيديهم ورجليهم، ما مفاكينش وباغيين يبقاو تما تا ترجع الخلافة، ويحررو أوروبا من الكفر، ويجي المهدي المنتظر. هادو كانو كل واحد وحالتو، كاين للي ما عندو فين يرجع، كاين للي مليوح فالسبيطار بالمرض أو الإعاقة، كاين للي تزوج بوسنية وفرّخ معاها، وكاين دوك للي منيّشين على الشهادة فسبيل الله وباغيين الحرب ما تساليش.

هاد النوع الأخير هو للي كان مْعمّر المعسكر ديك الوقت، هدرتهوم كلها دايرة على الآخرة، تا الأناشيد للي من المفترض نزهاو بيهم شوية، كانو نايضين غير على قطع الرقاب وحور العين. واحد الديسك دخل ليا لقلبي مزيان، وتانظن كان مسؤول على الموت ديال بزاف د الشباب، مازال تايزنزن ليا فودني لحد الآن..

النور ملئ عيوني ... والحور ملك يميني ... وكالملاك أغني ... في جنة وعيونِ

في جنة الله أحيا ... في ألف دنيا ودنيا ... وما تمنيت شيئا ... إلا أتاني سعيا

فلا تقولوا خسرنا... من غاب في الأمس عنا ... إن كان في الخلد خسر ... فالخير أن تخسروني

زاد التوتر فالعلاقة مع الجيش البوسني، بنادم ولى مْوَسْوس، كلشي هاز لعلام، الخوف من الصرب والمؤامرات الصليبية تحول إلى خوف من مجانين الجهاد. واحد الجو ديال الحذر والحيطة ولى مسيطر على المعسكر، تا واحد ما عندو المعلومات كاملة، الجو مكهرب والخواض كثر. شدني الهلع، الطبيعة الحيوانية للي تاتشم الخطر، ولات دايرة خدمتها مزيان. المشكل للي عندنا دابا هو أبو حمزة، للي جاب مراتو وولادو للبوسنة وزرّفهم معاه. من ناحية تاتبان ليا القضية ساهلة، يجمعو حوايجهم ونمشيو، ولكن هو كانت عندو حسابات أخرى، ربما ما كانش باغي يبان أنه تخلى على الإخوة فأصعب الأوقات للي محتاجينو فيها. كنت باغي نهدر معاه، نقنعو يرجّعنا بالخف قبل ما نوليو لا ديدي لا حب الملوك، ولكن فرانيت حيت ما بغيتش نتسبب فنتيجة معكوسة. بحال مين تاتخاف تدور فشي مول طاكسي كبير يصدق لايحك فشي خلا تكمل على رجليك.

سديت دلقوشي وبقيت ملبدها تانتسنا يهديه الله. طبعا الكاميكاز كانوا ما تايعاونوش، كلِ مرة يجي واحد يقول لينا صلا صلاة الاستخارة، وشاف رؤيا أن الله فتح «بِلغراد» على يد المجاهدين، أو شاف راية الإسلام ترفرف فروما. مشاكيييييل!

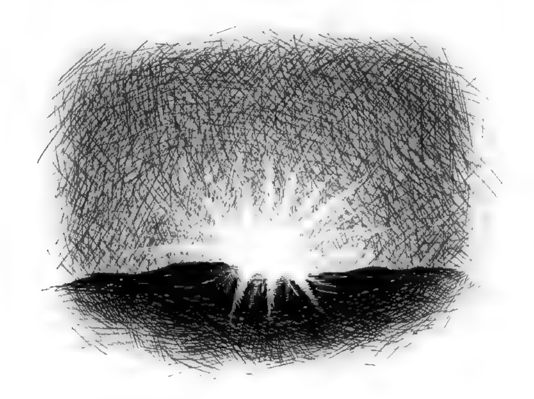
علي اليمني للي جا معانا، طلع ولد الناس، كنت تانهدر معاه وتا هو تايفكر بنفس الطريقة ديالي. صافي مادام ما بقا ما يتدار وصحاب لبلاد ما

باغييناش، الله يكمل بخير. واحد الهدرة قال ليا بردات عليا مزيان، وغالبا غا يكون قالها تا لأبو حمزة. قال ليا

- ماذا قال الرسول صلعم؟
- نعم
- قال: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه. هجرتنا إلى ها هنا هجرة إلى الله ورسوله، وستكتب عند الله كذلك. متى فتح باب جديد من أبواب الجهاد، عدنا إن شاء الله
- صدق رسول الله!

الفصل الواحد والعشرون

دخول الحمام صعب من خروجو



بعد أن وصلت القلوب الحناجر وظنَنَّا بأبي حمزة الظُّنونَا، هَدا الله هاد الأخير، ورتب الأمور ديالو، وعولنا نتكركبو مع المتكركبين نهار الجمعة، مباشرة بعد الصلاة.

باش عرفت راسي كنت مخربق ودماغي مدوخ، الأيام كلها قبل رحلة العودة، وبالخصوص نهار الجمعة، كان من أصعب الأوقات للي دازت عليا نفسيا. حسيت بتأنيب ضمير شديد، حسيت أنني خنت الله والرسول، خنت الشهداء للي ماتو فسبيل الله.

واخا الأسباب ديالي معقولة، لدرجة أن أبو حمزة براسو راجع بالقطيع ديالو لبر الأمان، ولكن ما كنتش مرتاح، وشهور من بعد وأنا ما حاملش راسي.

مراة أبو حمزة وولوليداتو مشاو فالطيارة، وحنا شدينا البيكوب، على الأقل هاد المرة كانت خاوية وما ضطريناش نتخبعو. كلشي باغيك تخرج من تما، دخول الحمام صعب من خروجو.

ساعات السفر دازت سريعة واخا كنت باغيها تطول، كنت تانخمم فالمستقبل لأن كلشي تضرب ليا فالزيرو. شنو غا ندير؟ واش غا نبقى حياتي كاملة مخبي فالجامع؟ واش غا نقدر تا أنا نتزوج؟ واش غا نقرا؟ نخدم؟ بزاف ديال الحسابات، وفين المعادلة الصحيحة؟ ما هدرناش بزاف فالطريق. يمكن أبو حمزة وعلي كانوا تايطرحو على راسهم نفس الأسئلة. أنا وعلي بعدا عزّاب، مقابلين غير راسنا، كِيّة أبو حمزة للي رَبّ أسرة، بجميع مشاكلها.

كل ما كنا تانقربو من ألمانيا والبداية الجديدة تاتقرب، وضغط الدم تايزيد، بحال يلا غادي لألمانيا لأول مرة.

- أتصل بحد تباتو عندو؟
- نذهب للمسجد
- الوقت تأخر أوي
- صحيح

أبو حمزة تاصل بواحد اللبناني، ساكن فالخرجة ديال لمدينة، عندو بنت قرطاسة - حور الطين - كَاع حنا - شباب المسجد - كان حلمنا نتزوجو بيها، ولكن عارفين الوصول إليها من سابع المستحيلات، خاصك تسافر عشر سنين، غير بموس وصاكادو، فالبحر والشجر والحجر، وتطلع للجبال، وتدخل للكهف للي فيه التّنين، وتقتلو وتجيب راسو عند باها، وشوف تشوف واش يقبل عليك.

هاد السيد اللبناني كان عارف من أين تؤكل الكتف، عندو مخبزة، تاييبيع الخبز للمطاعم والحوانت والجوامع. فالجامع للي جا يصلي ركيعات، تايدي معاه ميكة ولا جوج ميكات. فصلاة الجمعة كان تايجيب الطاوات ديال البيتزا وتاييبيع طروفة.

اللبنانيين معروفين بالتجارة، ولكن هاد خونا قدر يْمّص الأموال من الكافر والمسلم، وكانت عندو سمعة طيبة معاهم بجوج.

كنت عارفو تقريبا فين ساكن، ولكن ما عمري مشيت عندو للدار. وا ناري على ڤيلا كي دايرة! تكون عندك غير دار ديالك فألمانيا راك فوق بخير، تكون عندك ڤيلا راك وصلتي لسطاج النَّمر المُقنَّع. إحساس مقود، تْتْهَزّ من معسكر المجاهدين وتتحط فهاد الڤيلا. بحال دوك اللي تايمرمدهوم الله

فجهنم، ولكن تاتكون فقلبهم شي ذرة ديال الإيمان، ومن بعد شي مليار عام ديال السناسل والشواقر والمجامر، تايدخلهم للجنة.

بنادم عايش الحياة أ بن عمي! دين ودنيا. عقلي بدا يدير مقارنة مع المشايخ لملايينيّة، للي تايضلّو يقولو حي على الجهاد، وهوما مفطحين فالقصور ديالهم وبعاد على الصهد.

جلسنا فبيت كبير، فوتويات ديال الجلد، السقف عالي فيه التّريَّات ديال الضو والديكور والنقش. الزربية تاتهدر معاك تاتقول ليك أنا غالية. خونا رحب بينا بحال يلا جايين من غزوة بدر. واخا نصاصات الليل، حط لينا ما لذ وطاب من حلويات وبقلاوة، وشي تويشيات لم تخطر على قلب بشر. غسلت المعدة من جراثيم المعسكر!

أبو حمزة توادع معانا ومشى يقابل لحريرة للي تاتسناه. حنا دانا اللبناني فين نعسو، ورانا فين كاين الدوش، دخلنا لواحد البلاصة بحال شي دار أخرى، دار فدار، ما بقيت فاهم والو. الله يبارك! ريحت فبيت بوحدي، واحد النعيم غا نعيشو أول مرة فحياتي. ناموسية - ديك للي تاتبومبا -، وكواش بحال يلا مصوبين من ريش الملائكة. مشيت للدوش، ويا ليتني ما فعلت، حيت الله ينجيك من المشتاق يلا ذاق ومن الناعس يلا فاق.

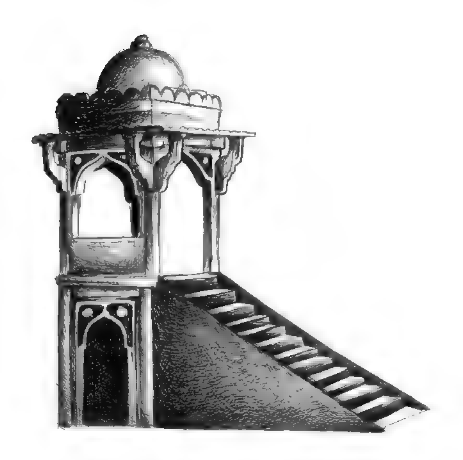
الدوش إينا رخام، إينا روبينيات مذهبين، إينا فوطات تحشم تمسح بيهم. بقيت تانشوف تا عييت، شللت وجهي ومشيت نرقد.

نعست نعسة فوق السحاب، كان ناقصها غير استحلام وتولي يا سلام.

تا واحد فينا ما فاق يصلي الصبح فالوقت! كلنا صلينا صلاة الصباح. كنت تانْصَبّح على اللحايا، صَبّحت اليوم على بنت اللبناني، أح أ قلبي، سعدات للي غا تكون مرتو. طلقت العنان للمخيلة فواحد الوقت، بديت نرسم سيناريو مسلسل ميكسيكي، اللبناني غا يزوجني بنتو، واخا أنا الحزقة والوسخ بحال لْمَسْخ، حيت أنا عندي الإيمان قوي. غا يسكنني معاه وغا نخدم فالمخبزة ونولي مدير على كلشي.. وا تا نووض!

برّعونا فالفطور، عمرو الطبلة بالقص، بحال شي مائدة نزلت من السماء. الخير مشتت، فالأول بديت غير تا ننقُب من هنا وهنا، شوية درت النفس وقلت للي ليها ليها، نقدر ما عمري نرجع لهاد الجنة، اللهم نستاغل الفرصة، ونعطي لجسمي جميع البروتينات والفيتامينات للي تسعطاشر عام وهي ناقصاه.

الفصل الثاني والعشرون
التَّرقية



اللبناني هزنا فالمرسيديس الفاخرة ديالو، وصلني لبيت الله، ثم دا علي يوصلو للحي الجامعي. علي دارها زوينة ما طلقش البيت ديالو تما، وقدر يرجع ويكمل قرايتو، ودبا راه دكتور كبير.. لا والله ما عرفت شنو دار من بعد، حيت نقاطع الاتصال بيه. كاين جوج إمكانيات، يا إما كمل قرايتو ونجح، أو مشا فرقع مصارنو فشي عملية إرهابية فشي قنت.

توحشت الجامع، واخا الغبرة كانت قصيرة. الجامع ولى بحال دارنا. كون كان إنسان كون عنقتو.

حليت الباب، السلام عليكم، تا واحد ما تايجاوب. دخلت ضربت دويرة، والو، الجامع خاوي. مشيت حطيت حوايجي فالركنة لقديمة، بديت نشوف فالخشية ديال ال VIP وتنضحاك مع راسي، واش عندي دابا الحق نبدا ننعس هنا من بعد المشية للبوسنة؟

جلست حدا المكتبة، خذيت «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ديال شيخ الإسلام إبن تيمية. من نهار مشيت، تا واحد ما فتح الكتاب واقيلا. باقة العلامة للي خليت فيه هي هي. هاد الكتاب كنت تانترجمو للألمانية، حيت ما تفهماتش ليا كيفاش كتاب بهاد الأهمية ما مترجمش. كتاب فيه التشريح الكامل ديال «النصرانية»، إبن تيمية ما خلا تا سؤال إلا وعطا أجوبة فيها سبعة أوجه وعشر مسائل وخمس نقاط وأربعة أبواب وست آراء وزيد وزيد.. كنت أعتقد أن أي ألماني يقدر يسلم يلا قرا الترجمة الألمانية. نسيت بأن كاين الملايين ديال المسيحيين العرب للي ما يحتاجوش الترجمة، وما غا يسلموش بسبب لِهيت ديال الشيخ. المشكل ماشي فاللغة، المشكل في الفهم الإسلامي للمسيحية، ولكن هذا موضوع غا نعيشو عن قرب من بعد، ماشي بلاصتو هنا. الجلسة فالجامع رجعاتني بالزربة للروتين لقديم، نسَّاتني التفكير فالمستقبل. الجامع ولى فعلا الحضن للي تاترجع ليه باش تحس بالأمان.

غرّقت فالنصرانية مع ولد تيمية تا بداو لخوت يبانو، الظهر قُرّب، أول واحد جا هو جمال الجزائري، شافني مسكين جا تايجري عنقني وعينيه فيها الدموع. ما كانش تايسحابني أنا عزيز عليه لهاد الدرجة. من بعد جا مصطفى، تا هو سلم عليا بحرارة، ولكن شي حاجة ما كانتش هي هاديك، كان شوية ديال التمثيل أو شي حاجة مديرونجياه - مقلقاه.

الجامع بدا يعمر ، حيت السبت، كلشي تجمع عليا، ردوني بحال لحلايقي، شي تايسول على المجاهدين، شي تايسول على أبو حمزة، شي تايسول على البوسنة والطريق. تزادت فيا ضلعة بالاحترام - الجديد - ديال الناس، وليت دابا فالكاتيغوري ديال قدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير. صلينا الظهر، عبد الفتاح ما بانش ليا

- فين عبد الفتاح؟
- رجع للشارفة
- أوَّاه؟!
- إيه مشا عندها، تصالحو

بداو يعاودو ليا شلا أخبار، تقول كنت عشر سنين فالمنفى، ها للي طلق، ها للي تزوج، ها للي رحل، ها للي قرقبو عليه لخضورة - البوليس - سيفطوه.

وجوه جديدة ولات تبان فالجامع، منهم واحد البوسني شارف، تعرفت عليه ووليت عزيز عليه مين عرفني كنت فالبوسنة. كنا تانعيطو ليه حاجّي. واش سميتو ولا غير زعما عمي الحاج، ما نعرف.

حصلت على ترقية كبيرة فعلاقاتي «السوسيومسجدية»، ما بقيتش مجرد «ساكن فالجامع»، أصبحت من الأعمدة الأساسية، تزادت عليا المسؤولية، بديت ننظم تا أنا حلقات تجويد القرآن، وتانحاول نجاوب على الأسئلة ديال الناس فالدين، بحال يلا زعما المشية للبوسنة تاتردك دكتور فالشريعة. مع ذلك، الإحساس بالحب والاحترام ديال الناس كان مهم بالنسبة لشاب بحالي مازال ما كملش عشرين سنة. علمني نكون منضابط، ونطبق داكشي للي تاننصح بيه الناس.

مع الوقت الحياة الجديدة خذات المجرى ديالها، نسيت البوسنة والبيكوب والكواش. الأخبار للي وصلاتنا من بعد، حيدات ليا أي شك فأن قرار العودة كان سليم 100%. شبكات مطايفة وخشونة مع البوسنيين، تقتلو ناس كبار فالقيادة د المجاهدين، وشحال تشدو فالحبس وروينة ناضت. أنا بعدة للي عليا درتو، هذا جهدي عليك أ سيدي ربي!

الفصل الثالث والعشرون

عزيز الكازاوي



المسجد كان الملجأ ديالي مين حطيت رجلي فهاد لبلاد، وبقى تايأدي الدور دالملجأ بكل تفان. فليلة من ليالي الشتاء الباردة، دق دق فالباب، حليت لقيت واحد الكارثة إنسانية، عزيز الكازاوي، من ذوي الاحتياجات الخاصة، رجليه ويديه عوجين تايمشي بحال الرتيلة. لابس تيشورت وسروال ديال التوب وسبرديلة، ما تقول غير هندي يالله حطو الكار من كالكوتا.

- السلام عليكم
- وعليكم السلام أخويا، الجامع هذا؟
- إيه الجامع
- ممكن نبرك معاكم؟ ما عندي فين نبات
- منين نتا؟
- من كازا

- لا، ماشي منين نتا من المغرب، منين من ألمانيا؟
- يالله جيت
- منين جيتي؟؟
- من بولونيا

عزيز غير قطع من بولونيا لألمانيا، أما قصة الهجرة ديالو راها بدات فروسيا، للي مشا ليها سائح عن طريق شي واحد فالعائلة عاونو. وصل عزيز لروسيا بالفكرة ديال غي تخرج من جهنم المغرب غا تلقى الجنة برا. داك ولد العائلة ما عاودش سول فيه، وبقا المزغوب تايخيط الزناقي والدروبا فبلاد الڤودكا. الرواسة ما تسوقوش ليه.

المغامرة للي غا يدير عزيز من بعد، ما يمكن غير ننحني إجلالا ليها. عزيز بزيرو لغة، زيرو فلوس، زيرو صحة، ضرب أيام وأيام ديال الطريق تايقطع فالبلدان - الحدود كانت مازال مزيرة فديك الوقت - تا وصل بأعجوبة لألمانيا، وجا تا للجامع عندنا! فهم تسطى!

مين دوزنا معاه شوية دلوقت وتعرفنا عليه، بان أنه بحالو بحال أمين الأعرج، زايد ليه الله نغزة فالدماغ، عوض ليه بيها على تخويرة الإعاقة.

عزيز كانت الابتسامة ما تاتفارقش وجهو، ضحوكي، ولد الشعب، ما قاريش، ما تايعرف فالدين والو، ما تايصليش، هاني ومهنّي الوقت. فالأول كنا تانسولوه على القراية، الخدمة، المؤهلات، فالأخير فقدنا الأمل، وركزنا معاه غير فالصلاة وعلى نبينا السلام. عزيز جاب معاه ڭاع النقايم ديال دربهم فكازا. الطوپ كان هو واحد اللغة ختارعوها باش يخبيو الأسرار على والديهم وعلى الناس. عيا ما يعلمنا الأبجديات ديالها ولكن ما دخلش لينا داكشي للراس. هو كان تايطير فيها.

الجامع كانت قريبة ليه واحد الجردة كبيرة، تايجيو الناس يجلسو فيها، واللي عندهم شي وليدات تايجيبوهوم يلعبو الزيطة ولا الزليق. عزيز ما عطلش لالمان، مشا ريح تما ولاح الصنارة. مع المغرب رجع ناشط

- فين كنتي؟ ما صليتي معانا لا ظهر لا عصر
- دبرت على مِّيمة
- شنو؟

- واحد لالمانية تلاقيت بيها

الصدمة ديالي كانت مدوبلة، أولا من ناحية دينية، لأن بحال هاد الهدرة ديال التدبار، وتشوف فمرا أجنبية، وربما كانت كَاع خُلْوَة بيها، هاد الهدرة خطيرة جدا، وكنت محيدها من تفكيري تماما. باش يجي واحد، ويقولها ليك وسط الجامع، غير الله يلطف بينا وصافي. من ناحية أخرى، كيفاش دار عزيز باش هدر معاها؟ مع العلم أن المؤهلات اللغوية و الجسدية على قد الحال؟

- كيفاش هدرتي معاها؟
- غي بالإشارة
- بالإشارة؟ وفهماتك؟
- إيه، دايرة معايا غدا نتلاقاو

ما تيّقتوش صراحة، ولكن ما قلت والو. واحد الأخ جزائري سميتو خالد كان حاضر وبدأ يتغانن معاه، فاراوْها فالأخير أن الجزائري يتبعو غدا من بعيد، ويشوف واش الكلام صحيح ولا عزيز طالقها علينا.

كلنا تفاجئنا غدا بالخبر اليقين، عزيز فعلا تعرف على ألمانية، مْسْرارة، خالد شافو مريح معاها تايهدرو، ومرة مرة تايضحكو. كيفاش تايتواصلو الله أعلم!

للأسف عزيز ضرباتو عوينة حارَّة. حب المغامرة ديالو، أو الطاقة الإيجابية للي قاستو بسباب الألمانية، خرجات عليه. غي ما قال ليه راسو، مشا هز بشكليطة من الجامع - تخيل منظر واحد بديك الإعاقة راكب على پِّيكَالة - وبقا غادي تايْبيدّر بيها تا للسُّونْطر ديال المدينة! دخل فشي زنقة ضيقة، عامرة بالطوموبيلات مسطاصيونين. زهرو مْكَوّز، فقد التوازن ديالو وطاح على وحدة فيهم، كْرّطْها وبدات تسرسر، مولاها خرج من الدارو شنق على عزيز، الجيران عيطو للبوليس وجاو. البوليس تايسولوه وهو تايحاول يجاوب، لكن داك تحراك اليدين والغميق للي صدق مع فارسة الأحلام فالجردة، ما فهمو منو والو.

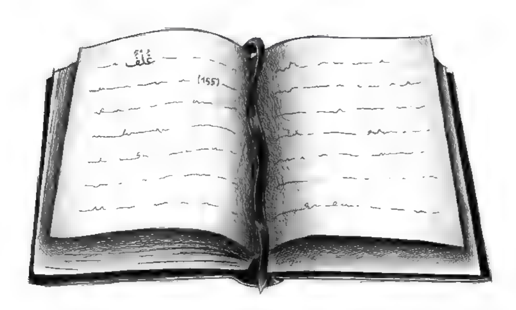
البوليس شَمُّو فيه ريحة لحريك، قَلّبو جيبو لقاوه كاتب نمرة الجامع فوريقة، عيطو لينا ما عرفنا ما نقولو ليهم، نكرنا ومسحنا السما بْليكَة. الله يسمح لينا منو.

المضحك المبكي فقصة عزيز القصيرة الحزينة، هو شنو عاودها لينا حمدان من بعد، حمدان جزائري حْرَّاك، هو للي قال لعزيز ياللّه معايا لواحد المحل كبير ف centre ville سميتو Kaufhof، عندهوم الريحة واعرة، نرشّوها علينا ونخرجو.

مين وقعات الواقعة، حمدان سّل، وعزيز حصل. فعوض الريحة ديال كريستيان ديور، رجع مسكين لريحة النعناع والشيبة.

الفصل الرابع والعشرون

العاصفة قبل العاصفة



تا حاجة ما تاتدوم، وغالبا الحياة تاتدير ليك هَزْ رْدْخْ على غفلة. كنت الطوب ديال بخير فالجامع، خدام مع الله والعباد ديالو، داير بلاصتي، كلشي ناضي، تانتسنا غير شي مْرَفّحْ يْحْن ويزوجني بنتو. القصة، أو المصيبة للي بدات مسلسل النهاية، كانو البطلين ديالها مصطفى، قَيْدُوم الجامع، والزواوي، واحد الأخ جزائري، تا هو دوز بزاف معانا، غير ما كانش ساكن بحالنا. الزواوي طلع ليه «الجّوك» - الحظ - طاح على مسلمة ألمانية محجبة، من دوك لقلالات للي سلمو غير هاكاك، ما حتاجوش شي مسلم يتزوجوه ويْدّوّز ليهم «لاماصّ». بالنسبة لواحد حرّاڭ تايقلب بالرّيق الناشف على لوراق، هاد الألمانية ماشي غير دجاجة بكامونها، هادي راها بِيبِيَّة بالفْرِيت والبيض والزيتون!

الزواوي خاصو يضرب لحديد ما حدو سخون، ولكن عندو مشاكل تقنية كثيرة، أولا السيدة مسلمة ومحجبة، والإسلام ديالها إسلام ديال النية، ديال الصح، ماشي لفوق قناة الناس ولتحت روتانا. يعني الخطة المفضلة عند كحل الراس، ديال تجيب الڭاوريّة للدار توكلها طاجين، ومن بعد تاكلو الحلوى، خطة غير ممكنة. واخا توقع ڭاع معجزة والأخت الألمانية تقبل تدوز معاه تجربة ديال لحرام، موراها بزاف ديال ستغفورالله، الزواوي ما عندو فين يديها. هو براسو تايبات فالجامع. أزمة البرتوش كاينة تا فألمانيا!

الحل الوحيد والمنطقي للي بقا ليه هو يتزوج بيها إسلاميا، باش يضمنها، على ما يقاد أُمُورُو القانونية. الزواوي بحالو بحال الأغلبية، لا يعرف من الإسلام إلى إسمه، تْرْنْدْف معاها وجابها للجامع باش يشرحو ليها الزواج الإسلامي. ما طاح الصّكْع غير فمصطفى، مصطفى كولشي كان تايتيق فيه، حسب النسخة للي عاود الزواوي، السيدة دخلات حيدات سباطها، ريحات باستحياء، مصطفى حط عليها العين فتناتو! بدا يشرح ليها لعيبات فالإسلام وبدا يْتْشْعّب، والزواوي غير تايشوف ومْكالمي اللعب. وصل وقت العصر، ناض الزواوي يتوضا، فديك لوقيتة ديال لوضو، دار ليه مصطفى رّاوْ دّاوْ. دائما على حساب النسخة ديال الزواوي، صْطّوف عْمّر ليها راسها، قال ليها أن عريس المستقبل ماشي مسلم حقيقي، وأنها خاصها شي واحد للي يْطلّعها درجات فالإيمان ماشي يْهْبّطها، واحد للي تايواضب على الصلاة فالمسجد، وشديد فالعلم الشرعي، وتايطبق السنة النبوية، وسميتو مصطفى!

الخطة نجحات، الألمانية قلبات على الزواوي، وما كمل تا شهر موراها، مصطفى تزوج بيها بما يرضي الله ورسوله، ومشى سكن معاها فدارها. هو مشا، وحنا خلا لينا الحرب الأهلية فالجامع. آخر مرة شفت فيها مصطفى، كان تايبيع الفلافل فواحد لكيوسك.

هذا ما كانش أول هْريف وقع، قبل من هاد الحادثة، كانت القصة ديال Rolf. هذا ألماني شاب عندو 18 عام. ختو كانت مزوجة بمغربي - حميد - دْخّلْ ليها الإسلام مع المني. Rolf كان حْشّومي بزايد ونية مسكين، ما عندوش أصدقاء، وباينة دازت عليه حُكْرة فالمدرسة، ومازال تاتدوز عليه فالتكوين المهني للي تايدير. والديه بوكو حْبَّة، كاريين ليه دار بوحدو ما خصو تا خير.

فيّامات الأعياد، ختو ونسيبو المغربي، زْعّموه يبدا يجي للجامع ويْعّيّد معانا، جا لمرة الأولى، الثانية، رحبنا بيه درناه فوق ريوسنا، خونا عجبو الحال وحس بالسعادة. لقا الحنان، لقا الصداقة، لقا الأنشطة، لقا بلاصتو فالجماعة. حنا طبعا ما زكْلناش الفرصة، لأَنْ يهْدِيَ الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمْر النَّعم، كنا تانمشيو نزوروه فدارو، ومين تايجي للجامع تانْوّقفوه يصلي معانا واخا ماشي مسلم. كنت تانعلمو العربية وتانتهجا معاه القرآن حرف بحرف، دار لينا فضيحة بالضحك واحد المرة، دايرين جلسة قرآن، ما نطيحو غير فالآية 155 من سورة النساء: بِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ، بدا يقول غْلْف ويعاود فيها، شداتو

ضحكة مجنونة خفنا يسكت ليه القلب. ديك «غُلْف» النطق ديالها بحال الإسم ديالو تماما! Rolf. قلنا ليه فأل خير هذا، إسمك مذكور فالقرآن.

ثم جائت اللحظة للي كل مؤمن تايتمناها، كان رمضان باقا ليه شي يومين ويدخل. كنا جالسين غير أنا و «غولف» فالجامع. تانقشبل معاه بالألمانية، شوية نزلات عليا نفحات الدعوة وقلت ليه

- رمضان على الأبواب
- نعم أنا فرحان، تايعجبني رمضان
- غا تصوم معانا ياك؟

قلتها وأنا مبتسم

- ممكن
- عرفتي هاد الصلاة للي تاتصلي معانا، والقرآن، والصيام تا هو نشاعلله، راه خاصك تسلم باش يتحسب ليك عند الله
- نشاعلله

تعلمها منا، أجوبتنا دائما نشاعلله

- واش ضامن راسك ما غا تموتش غدا؟
- لا
- أش تاتسنى؟
- ما عرفتش
- ما عليك إلا تنطق الشهادة. تكون مزيان بعدة مع الله
- همم.. أوكي. دابا؟

صدمني ولد العبد! قْبّل بالزربة وأنا درتها غي بالضحك! نطق غولف الشهادة وعنقتو، واللي دخل للجامع سمع البشارة ودار معاه الواجب. هادشي كلو وأنا ما فراسيش راه كاينة حرب طاحنة حول غولف فالكواليس، بين حميد راجل ختو وبين دريس. دريس مغربي من الإدارة ديال الجامع، كان هو المسؤول على الشؤون المالية. هاد دريس بغا يزوج غولف لختو فالمغرب، وحميد ما قبلش واتاهمو بأنه استغلالي. حميد عَمّر مراتو، وعَمّر نسابو، دار لدريس زرواطة فالرويضة. دريس طلع ما سويهلش، تكونسونطرا مع غولف ودارو تحت جناحو، دَّاه معاه للمغرب، ختنوه تما وزوجوه وسَمَّاوه المهدي!

دريس كان مخدمني معاه فابور، بطريقة غير مباشرة، وأنا ما جايب للدنيا خبار.

هذا غيض من فيض، طراو ديكورات أخرين عكّرو الجو ديال الأخوة والسلام والمحبة للي كانت بيناتنا. كثرات الضغائن والأحقاد، كانت ناقصة غير القشّة للي غا تقسم ظهر البعير، ونفرشخو الرمانة.

القشة جات فداك رمضان نيت، فالعواشر، قبل من العيد بأيام قليلة. الجامع كان عامر، صلينا المغرب، فطرنا بالروز والدجاج، هادي الأكلة اليومية فرمضان. حنا جالسين تانتسناو العشاء، فَإذْ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد. بحال الحديث ديال جبريل نيشان.

السيد لابس لباس مفركس أنيق، لكرافاطة واللوازم كاملة. قال لينا عندو حاجة مهمة بغا يقولها لينا. عطيناه الكلمة وبدا:

«أنا تاجر، عندي شركة أحذية عالية الجودة، كل موسم نُغَيِّر الموديلات، وأنا أريد التبرع بشاحنة أحذية كاملة للمسجد»

كلنا ريوكّنا سالو، أحح على همزة! بدينا نسولوه، كثّر الهَرَج، ومع ديجا بنادم على الأعصاب ديالو بسبب الحزازات للي كاينة، الأصوات رتافعات، وما بقا تا واحد مسوق لشي عشاء ولا تراويح! مول السبابط عتاذر أنه ما يقدرش يبقى للتراويح حيت عندو التزامات، ودار مع دريس، إيه دريس نسيب غولف «الجديد»، أنه يتاصل بيه من بعد باش يجيب الكاميو ويتفرقو السبابط فالعيد.

تا لهنا، ظهر البعير مازال ما تقصمش، للي طرى نهار العيد هو لي غا يقصمو، ويقطعو، ويطبخو.

الفصل الخامس والعشرون

الفتنة الكبرى



لفقيه للي تْرْجِّينا بْرَاكْتُو, دْخْل للجامع بْبْلْغْتو. شحال خايبة تكون بنيتي صورة واعرة على شي إنسان، وتشوفها تاتهرس قدام عينيك. نهار العيد ماشي صورة وحدة للي تهرسات، معرض كامل ديال الصور تْفْرْتْتْ.

ديجا فليلة العيد بدات الإشاعات تاتدور، خاصة بين لحْرّاكة

- وين راهم السبابط؟
- الله وادريس أعلم
- لا، ما تقولش هاد الكلام، اتق الله!
- قولُّو هو يتقي الله! وين حقنا من الزكاة؟

أغلب لحْرّاكة قتانعو أن ادريس دار ليهم الصابونة وجْقْر السبابط. هي الصراحة تتقال السكات ديال الإدارة كان مُريب. من نهار زارنا مول الكاميو ما عاودنا شفناه، أو سمعنا عليه شي حاجة. المطالبة بالسبابط ولات حق مشروع!

تجمعو الناس فالجامع، كاين للي جاو من مدن بعاد، حيت كان عندنا شيخ سعودي دوز معانا رمضان، والغاشي بغاو يتبركو ببراكتو قبل ما يمشي. الشيخ لقا الكلمة ديالو، تعانقنا وباركنا لبعضياتنا كيف العادة، شوية ناض جمال هز الصندوق ديال الزكاة وبدا يدور بيه، غير وصل عند دوك للي على سَبَّة، نقز واحد فيهم وغوّت فالجامع

– دراهم السبابط فالصندوق ولا فالجيب؟

كاين للي فهم وعجبو الحال، حيت مول لغوات تايمثلو، وكاين للي تقلق بحالي، سواء فهم ولا ما فهمش آش طاري. دريس كان واصلو الدشاش ديال «الهدرة عليك أ لحادر عينيك»، ما صبرش وناض تايدافع على راسو

– الله يسامحك! واش هادي هدرة تقال نهار العيد؟

صحاب نظرية المؤامرة ما عطلوهش بداو عليه

– شوف نتا مع الله واش يسامحك يا سارق أموال الزكاة!

دريس بدا يْتْرْعّد، واقيلا خرجو فيه ذنوب Rolf. ومسخوط الوالدين جا يكحلها عماها. فالأول قال أن مول الكاميو خوا بينا وأنه بغا غير يدير لينا لفتنة، إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا، من بعد، فعوض ما يبقى مركز غير فهادشي ويبرأ الذمة ديالو، قلبها هجوم على لحْرّاكة، ما خلا فيهم غير للي نسا، زناة، وسكايرية، وتايبروفيطيو فالجامع!

مرة أخرى، لخوت ما كانوش من العاجزين، جبدو ليه گاع الدواصا ديالو، للي معروفين واللي باقيين بميكتهم. الجامع تْرْوّن، السقف ديالو خفتو يطيح علينا بقوة لغوات. بعض الجزائريين المحايدين جاتهم الغيرة على ولاد بلادهم، ناضو تا هوما لدريس، صحاب دريس من جهتهم تحاماو معاه، ناضت مشانقة فبيت الله، عيينا ما نفكو والو، بنادم خْرّج الشر كامل. المصيبة هي أن موضوع السبابط تنسى وبانو قوادات آخرين كْفْسّ وكْرّف. دريس طلع سارق من فلوس الجامع، كان تايستعمل البطاقة البنكية الخاصة بالمركز لأغراض شخصية، بسباب هاد لفضيحة، دريس أخذته العزة بالإثم وما عقل على تا واحد. بدا يْعْرِّي فناس الإدارة، واحد مزوج على مرتو بلا خبارها، واحد تايضرب القات – مخدر مشهور فاليمن –، واحد عندو عقيدة فاسدة ديال الأحباش مخبيها، وزيد وزيد.. حنا للي ما دخلناش فالمعركة، بقينا

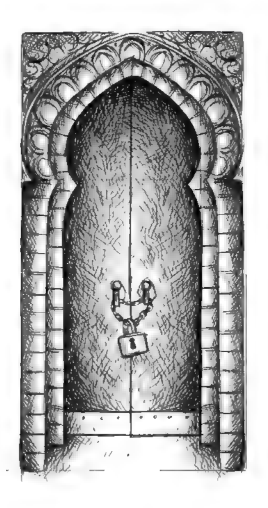
غير حالين فَّامنا. كرهت حياتي فديك اللحظة وسّبِّيت، بحال ديما، كلشي فالشيطان.

الجواب على سؤال السبابط ما عمرنا عرفناه، يمكن دريس قال الحقيقة ويمكن كذب. الله يخلص كل واحد على قد نيتو، هادشي لي كنت تانقول.

العواقب ديال هاد الفتنة كانت خايبة، الناس فقدو الثقة فالإدارة، والعد التنازلي ديال خروجنا من المسجد بدأ!

الفصل السادس والعشرون

سْدّاتْ مَدَام



محمد السوداني، واحد من حُرَّاس المعبد، خذا بزمام الأمور وبدأ بمحاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وحفظ ماء وجه المسجد.

أول خطوة دارها هي قَدّم لينا مهلة أسبوع باش نخرجو ندبرو على راسنا، يَّامات لمباتة فالجامع تسالات! محمد شرح سبب هاد القرار، ولحد الآن ماعارفش واش كذب علينا ولا قال الحقيقة. قالك أ سيدي السلطات الألمانية خَرّجات قانون تايمنع المبيت فدور العبادة. التوقيت ديال هاد القرار كان غريب، حيت جا مباشرة بعد القربالة للي وقعات.

فَرّق علينا واحد البَرَكة من فلوس الزكاة للي تجمعات، وقال لينا عومو بْحَرْكم. بقيت مْعَلّق ديك السيمانة ما عرفت ما ندير، بحال شي حيوان ربِّيتيه فالبيت، ودبا خاصو يخرج للغابة، أو دري صغير وْلّف لحليب ديال مُّو وجا وقت لَفْطام.

لحسن الحظ كنت عزيز على الناس، لقيت للي عرضو عليا نبات عندهم على ما نلقى شي حل دائم. ألمانيا غا نكتاشفها من جديد. وا سير دابا قَلّب على الخدمة وعلى لكرا والوراق والإدارات.

كون غير ما عرضوش عليا شي وحدين وبت فالزنقة كون حْسَن ليا. آخر واحد عرض عليا من الأشرار، كان تونسي، ما يستاهلش نذكر سميتو، دار معايا بلان ديال لكلاب، ما عمري ننساها ليه. كان طالب جاي بمنحة يقرا، وساكن فحي جامعي. مشيت عندو مور لعشا، حطيت كْمامْسي ونعست. فْيّقتو فالصبح صلينا، ورجعنا نعسو. مين ضرباتني الفيقة ونَضت، جيت نحل الباب ما تايتحلش! الباب مسدود من برا. علاش سد عليا؟ واش غلط؟ ما يمكنش، أنا ناعس حدا الباب، خاصو يْتخَطّاني هاد يخرج. قلت ما فيها باس، يمكن مشا غير يقضي شي حاجة ويرجع. وصل الظهر ما بانش، العصر والو. الجوع والعطش ماشي هوما المشكل، المشكل الطواليط. من الصباح وأنا شاد البولة. قْرّب المغرب، بديت نفقد أعصابي، بديت نخبط فالباب عالله يسمعني شي حْدّ. عنداك يكون مات؟ عنداك نبقى مسجون هنا نموت بالجوع والعطش؟

خونا جا مع جوايه العشرة دلليل! كان الله ديك الساعة غفر ليا ما تقدم من ذنبي وما تأخر. حل الباب دخل، تا السلام عليكم ما قالهاش. همم..

- راه ما قدرتش نحل الباب، كان مسدود من برا!

بدا غير تايضحك، واحد الضحكة مايعة ما عندها تا معنى. هزيت حويجاتي وقلت مع نفسي قَدَّر الله وما شاء فعل. ديك الليلة بْتّها فالمراح ديال الدخلة د الحي الجامعي، كانو تما كراسة، نعست فواحد فيهم نعسة المسافر فالكار. فالصباح توكلت على الرزاق ومشيت للجامعة تانقلب فالإعلانات على سكنى، القضية شاحفة، داكشي للي كاين غالي، بالدقة على النيف.

نعست ديك الليلة فمحطة الميترو، مع السكايرية وصحاب الهيروين. فالصباح عاودت خرجت تانقلب على لكرا والخدمة، ما جابش الله. ديك ربعة دريال للي خذيت من فلوس الزكاة بدات تاتذوب. تا كنت غا نقنط من رحمة الله، وأنا نلقى سكنى فبناية سكنية صغيرة، مولاتها شارفة باقي ليها قسماين فالدنيا. البناية فيها ثلاثة طوابق وبعيدة على المدينة. سكنت تما، ومع أنا فيا الفارة ديال الإنسانية من صغري، فين ما لقيت فالجامع شي حْرّاك حاصل ما عندو فين يبات، تانعرض عليه. واحد الوقت وصلنا لخمسة دالناس فبيت. كانت

الماكلة ديالنا يوميا يا إما مُعَلَّبَات الذرة مع الطّون، أو تانشدو مُعَلَّبة عدس/لوبيا، تانحلوها من الفوق، وتانحطوها هاكّاك فوق البوطة.

طراو بزاف ديال الحكايات العجيبة فهاد السكن المبارك، لكن الواعرة فيهم هي ديال عبد الإله، هاد الأخ كان تْشَدّ فالمغرب سنوات ديال الحبس، حيت كان مع الشبيبة الإسلامية. حْقَد على أي حاجة عندها علاقة بالمغرب، حرك لإسبانيا ومن بعد جا لألمانيا. كان متدين بزاف تا هو. سْكّنتو معانا فالبيت وكانت الأمور مزيانة، تا غا يجي النهار للي عبد الإله غا يدير فْعْلة غير مفهومة. عرض علينا واحد السوري للغذاء، عبد الإله ما بغاش يمشي معانا، قال لينا توكلو على الله أنا غا نبقى هنا. مشينا عمرنا البُطون، رجعنا، دقينا على الباب، عبد الإله ما بغاش يحل وما تانسمعو والو من لداخل! زدنا الدقان والو. الباب مْطرّق من عندو يعني هو كاين. عيينا ما نصبرو تقهرنا، ولينا نديرو دقان المخزن، والو، بداو يدخلونا التّناوي، عنداك يكون الزّمّر مات؟ المشكلة أنا معايا الحْرّاكة، ما نقدرش نعيط للبوليس. الجيران سمعونا بداو يطلّو، واحد فيهم عيط للشخص المكلف بالإصلاحات حيت تايكون عندو عادة الدّوبل ديال السوارت. الحْرّاكة للي معايا قلت ليهم ينتاشرو حيت يقدر شي ألماني متقاعد يحزق ليه الفرخ ويصوني على البوليس.

جا مول السوارت سوّلني

- شنو المشكلة؟
- ما نعرف! واحد الصديق جا زارني، خرجت نقضي شي لعيبة، رجعت لقيت الباب مسدود وما تايجاوبش
- متأكد كاين صاحبك لداخل؟
- إيه كاين، الباب مسدود من لداخل
- ما عندكش الساروت؟
- كون كان عندي كون حليت

بدا يقلب فواحد الحزمة ديال السوارت وتايجرب. طبعا ما كاين غير لعكس، تا ساروت ما خدام

- خصنا نعيطو لْحَلّال البيبان
- أوكي

- غا تقام عليك ب 100 مارك
- شنو؟

أنا حازق، 100 مارك مبلغ كبير بالنسبة لْمْتومّر بحالي

- ما عنديش 100 مارك
- تسنى

مشا ورجع جايب معاه «الماطرييل» ديال صحاب لقفولة. كنت خايف يجيب البوليس، سَّاعة طْلّع رُجولة. تقاتل مع الباب تا حْلّو. دخلت طْلّيت، ضرباتني ريحة مقودة ديال لعرق والصنان، عبد الإله مْلْوِّي فالكاشة، تايتنفس، لاباس مازال حي.

مشيت شكرت الألماني وصْدّرتو، سديت الباب وسولت عبد الإله آش هاد الفيلم للي دار لينا؟ ما بغاش يجاوب، بقا غير متكي! درت تا أنا بحال يلا ما طرى والو وبدلت ساعة بأخرى. بزاف ديال السيناريوات ومحاولات التفسير دازو فراسي، لكن ربما الأقرب للحقيقة هي أن سِّي عبدو كان تايْجْلْد عُمَيرَة - يستمني - وجيناه فوقت خايب، صْدّق ضارب الطّمّ، وبقا ضارب الطم، حيت بلانو خايب تا للتعاويد.

فكرت فالجنس كسبب، لأن قصة مشابهة وقعات مع الأخ محمد المصري، دابا راه إمام جامع كبير فألمانيا! ديك الوقت كان مازال تايقرا، وكان تايخدم عساس فباركينغ ديال الرّموك فالويكيند. عاطيينو بيت كلُّو داير بالزجاج باش يْعّسّ، وعندو تلفزة باش يدوز الوقت فالليل. كان تايقنط بوحدو وتايطلب منا نمشيو عندو نْوْنّسوه حيت كنا ساكنين قراب. تانركبو على الدراجات الهوائية وتانمشيو ندوزو معاه سويعات. واحد الليلة، ما نعرف واش نسا أننا غا نجيو عندو ولا شنو، غاديين تانقربو تانقربو وهو عاطينا بالظهر تايتفرج فالتلفزة. أويلي واش داكشي للي تانشوف هو للي على بالي؟ الدّرِّي معايا تا هو حسيت بيه تْهْز، زدنا قْرّبنا، لا حول ولا قوة إلا بالله، حْصّلناه تايتفرج ففيلم ديال «السَّاكوفاح» - الجنس - وحاط يدو على حجرو!!

غْرّقْنا بجوج، رجعنا اللور، ودرنا راسنا ما شفنا والو. واحد الشوية نتابه لينا فبدأ ينادي من بعيد، مشينا عندو

- السلام عليكم
- همم.. وعليكم

لا أنا، لا الدّرِّي، عاودنا جبدنا سيرة الموضوع. حضرت لخونا فخطب جمعة ومحاضرات مين ولى إمام، وديما الصورة اللعينة ديال ديك الليلة قدام عيني للأسف.

الفصل السابع والعشرون

رفقة السوء



الخروج من المسجد ورَّاني الوجه الآخر ديال ألمانيا، الزّهو والتمتع بالحياة، ورَّاني تا هادوك للي كانو تايمثلو الإيمان فالجامع، وهوما غير الطَّاسة والقرطاسة. عبد الله ولد بلقصيري للي كانت عندو رية وحدة، ولكن كان تايشطح الليل كامل فالدِّيسكو بحثا عن حضن كافرة يأويه، الشفارة للي كانو تايشفرو ويعتابروها غنائم حيت سارقين من الكفار، مدمني الخمور والمخدرات، المزوِّرين ديال الباسبورت. صدمة مور صدمة، تا ولاو الصدمات هوما الشيء العادي. الوحيد للي بقا على صباغتو، لْحْرايميَّة، هو أمين الأعرج. أمين كيفما قلت قبل، خاصو بوحدو مذكرات، مفرقة فمجلدات بكثرة الحكايات. أمين نزل فألمانيا أول حاجة دارها مشا تقيد فالجامعة، صوب بطاقة التأمين الصحي، مشا طلع فالدروج لواحد لبلاصة عالية، لاح لعكاكز وكَركَب راسو!

وصل لتحت الجسد ديالو ولى خُردولة، جات لابيلانص هزاتو، داوه لواحد من أفضل السبيطارات فألمانيا، فريق من الجرَّاحين خدمو على الحوض والرجلين عضم بعضم. شركة التأمين خلصات كلشي لأمين، ولكن أمين ما غاديش يكون أمين يلا حبس وما زادش استاغل الفرص. فالمغرب للي مقبرة ديال الفرص، وكان تايصنع فرص، فما بالك فألمانيا للي كلها وجيبات. بقا فالسبيطار مدة طويلة، واكل شارب، وقريبا جدا ناكح. تعرّف على فرملية ألمانية باقا بأسنان لحليب، حبّاتو من قلبها، تهلّات فيه ودارت معاه الرب ديال الخَوَار. خرج من السبيطار، وحيت هو أمين العجيب، مشا سكن معاها وتزوج بها رغم الرفض الشديد ديال واليديها. لدرجة أنها فضّلات تسمح فبّاها وأمها وتبقى معاه. حمّلها بالزربة، طبعو ليه الفيزا دالخدمة وبدا التكوين المهني باش يولي صانع ديال أجهزة ذوي الإعاقات. خدمة للي فيها فلوس صحيحة. شفتو شحال زوين هادشي؟ وَلا في الأحلام!

لكن للأسف الكمال لله، وأمين ماشي كامل، غا يدير طْبْزْة عين عالمية. بداها بالجّوانات والتبويقة يوميا، وسالاها بالضرب! الألمانية مسكينة صبرات صبر أيوب تا ما بقاتش قادّة، واحد النهار سمحات فالخدمة والدار، هزّات بنتها، وهربات عند واليديها للي تسامحو معاها بشرط، أنها تْطّلّق من راجلها للي كان واحل ليهم فالحلق. أمين جرجرهوم مزيان فالمحكمة، ولكن فالأخير شد فالحنكليس - فالقضيب.. خرجْ ما كمّلش التكوين المهني، وبدا المسلسل الدرامي ديالو، للي غا يكونو فيه مصايب لا حصر لها.

تلاقيت بيه مجددا فدارو للي ما بقاش تايخلص لا الكراء لا الضو ديالها. أمين تانضن ݣاع الوقت للي دوز فألمانيا ما عمرو خلص هادشي! سابقة وقعات، ربما الأولى فتاريخ ألمانيا، الشركة ديال الكهرباء قطعات على «مُعَوَّق» الضو، أمين ما تجاوبش مع عشرات الرسائل والإنذارات ديالهم. كنت تانريح معاه بزاف فهاد الوقت، ومن جيهتو نيت تعرفت على رفقة السوء.

دار أمين، المظلمة ليلا، ولّات بحال مغارة اللصوص، مجازا وحرفا. ولّاو يتجمعوا فيها كل الزنادقة والشفارة. الشفرة كانت منتشرة بين الحْرَّاكة، خاصة الجزائريين. الزعيم ديالهم هو عبد الكريم. يلا شفتيه تحلف عليه أنه ألماني. أشقر الشعر، أخضر العينين، بْلَق. عبد الكريم كان مخبر شرطة فالجزائر، ومنين ناضت المعمعة ديال الجبهة الإسلامية للإنقاذ، عْلّق لفرنسا وبدا يستعمل فيها تقنيات السرقة، للي كان بارع جدا فيها. فرنسا ما طولش

فيها، حيت مزيّرين اللعب كثر من ألمانيا بسبب كْحَلْ الراس. فألمانيا ولى عايش كيف الأمير. تايلبس أغلى أنواع الملابس والساعات، أي حانوت دخل يسرق منو تايحتارموه، مستحيل شي حد يشك فيه.

الإيمان ديالي بدأ ينقص والعلامات بانت، ما بقيتش تانمشي للجامع كي قبل، وليت تانتكاسل على الفجر، القرآن قليل فاش تانقراه. وليت عاطيها غير للدوران والتّسكّع مع أمين والأشرار. دّبّرت مرة مرة على خديمات دْمّقت بيهم، ولكن فلوسهم ما كانوش تايعمرو العين، خصوصا مين تاتشوف للي دايرين بيك مْحَرّكين اللّعاقة - ديال لحرام - بكل سهولة. ما عرفتش واش كنت غا نهبط معاهم لأسفل سافلين ونولي تا أنا «كريمينيل»، للي بقيت مفتاخر بيه لحد الآن، هو أنني ما ضعفتش. ما عمري سرقت أو خذيت شي حاجة جاية من السرقة.

الفضل ما تايرجعش غير للأخلاق ديالي، ولكن كذلك لحادثة مُروِّعة، وقعات لواحد كان معانا، وبسبابها خويت المدينة.

مع ديك وقت العصر كانت «العصابة» تاتجمع فدار أمين. كل واحد تايجيب لخنيشة ديالو باش فتح عليه الله داك النهار، ها السناسل، ها لخواتم، ها الروايح، ها سبرديلات nike، ها لحوايج «كلاص». فداك اليوم المشؤوم قتارح علينا أمين نمشيو نقسرو فواحد البار، جا فالسطح ديال عمارة عالية. أنا سمعت بار والشراب راسي تّبْلوكا، الشيطان الصغير للي فيا بغاني نمشي نشوف هاد لعجب. ما عمري شفت بار من لداخل. عياو فيا الدراري نمشي معاهم، لكن ملاك الحسنات غْلبّ، عتاذرت ليهم ومشيت فحالي. هوما مشاو.

فالصباح لغد ليه كانت الجمعة، مشيت للجامع، تانلقا رشيد الجزائري وجهو صفر بحال يلا شاف عزرائيل.

- مالك؟
- الحسين مات
- شنو؟!

تايعاود ليا وتايبكي. الحسين سْكّر وطاح من العمارة! ما قدرتش نتيق. الحسين يالله كان معانا لبارح تايضحك. واخا كان شفار وتايدير الموبقات، ولكن كان من أطيب الناس. قلّب علیا المواجع ديال الموت من جديد. محرار الإيمان ديالي نْقّز من الأزرق للأحمر، حسيت بواحد تأنيب الضمير مؤلم

جدا، لقيت على راسي اللُّومة. ربما بسبابي أنا مات الحسين؟ ربما الله عطاني علامة أنني غادي فالخسران؟ علاش ما نصحتوش يبعد من الشرور؟ علاش خليتو زاهي وشاركت معاه فالنشاط؟ ما كرهتش فديك اللحظة الأرض تتحل وتبتالعني.

قطعت الاتصال تماما بأمين والأربعين حرامي، ولِّيت غير الجامع والدار. واخا هاكاك، مجرد نشوف وجوه شي وحدين نهار الجمعة، للي تايجيو يصلو فيها، كان تايدير ليا القلق، وتايفكرني بذكريات حزينة. كان خصني ضروري نْبْدّل الجو، نْبْدّل المدينة، نمشي لشي قرينة كحلة ونبدا عوتاني من جديد.

الفصل الثامن والعشرون

حكايات قبل الرحيل



يمكن دارو ليا شي حْجاب سحري فصغري، ولا شي دعوة صالحة وَصّلها سيدنا قْدَر شخصيا للمولى عز وجل. للي تعرفت عليه ونصحتو بشي حاجة يغير بيها حياتو، كان تايدير لاباس. المشكل فهاد «السيستيم» هو أنهم هوما تايديرو لاباس وأنا لا.

واحد من هادو للي ستافدو من بَرَكتي هو «شَرَابي»، هاذ الإسم للي شتاهر بيه، واللي تايعني «تقشيرتي» بلغة المشارقة، عندو قصة طويلة غا نعاودها من بعد. شرابي كان فلسطيني، ولد واحد الراس كبيرة فمنظمة فَتْح. بَّاه كان من كروش لحرام ديال فلسطين، سيفط ولادو كاملين يقراو فالخارج، وتايصرف عليهم من تما. القضية الفلسطينية فيها لفلوس. شرابي للي جابتو لعْزْلَة لألمانيا، تعرفت عليه بعد الطرد ديالي من رحمة المسجد. كان تا هو ساكن فالدار ديال الشارفة، كان جاري.

المدة لقصيرة للي دوزت مع خونا وقع فيها لهبال. أولا خصنا نعرفو أن شرابي كان صاحب أجمل عينين شفت فحياتي! خليط ديال القهوي والأخضر البَرَّاق. يقدر يطَيّح أي وحدة غير بالشوفة. لكن داكشي للي زاد ليه الرحمان الرحيم فالعين، نقصو ليه فالذكاء. هاكّا يكون العدل الرباني وإلا فلا.

شـرابي مـا كان تايعـرف يدير تـا خصيـة! تايعـرف غيـر ينعـس ويـاكل ويمشـي لبيت الخـلاء، بحـال شـي دري صغيـر. الغرفـة ديالـو كارثـة، حوايجـو كارثـة، حياتـو كارثـة!

فيَّامـات الفتنـة، غرّنـي الشـيطان وقلـت ليـه يـالله نمشـيو للمسـبح العمومـي، خونـا هـز ميكـة صـاك ديـال LIDL – متجـر ألمانـي رخيـص الأثمـان – ومشـينا. وصلنـا لتمـا، السـيد مـا جايبـش لـوازم السـباحة! دخـل بشـورط ديـال الدجيـن، جـا «الميطرناجـور» عربـط عليـه مزيـان، شـرابي حيـد الدجيـن، وبقـا لابـس سـليب بيـض مْهْرهْـر بحـال ديـال الكسـال.

- أدخل فالماء حتى لا يراك الحارس!
- ما بعرف أسبح
- ماذا؟
- ما بعرف
- لا حـول ولا قـوة إلا بـالله! طيـب أدخـل فـي المـاء وامسـك بالحائـط

دخـل وبقـا شـاد فالسِّـيمة شْـدّة فتيحـة الحمقـة، فتيحـة كانـت سـعَّاية/حمقة مشـهورة فقنيطـرة، كلشـي تايخـاف منهـا، حيـت يـلا شـنقات عليـك مـا تطلقـك حتـى تْكْحـب الصدقـة.

- تعال عندي، لا تخف، ستتعلم السباحة بسرعة

بديت نْبْعّد عليـه فالقنـت وتانحـاول معـاه يضـرب ديك جـوج ثلاثـة ميتـرو ويجـي عنـدي. شـحال وأنـا تانديـر ليـه «الموتيفاسـيون» تـا زْعْمْ، غـي طلق مـن الحيط بدا يبقـق ويشـرب المـا، مـا يجـي غيـر فطريق واحـد الألمانيـة، كانـت تاتمشـي وتجـي عومـان بحـال النـاس العادييـن، تلاقاهـا كيفمـا تلاقـا جبـل الثلـج ب «التيتانيـك» Titanic. شـرابي ديجـا شـرب شـي يطـرو، عينيـه ولاو حمريـن بـزاف ومارجيـن، تايتلصّقـو بحـال يـلا دايـر «پومـادا» الصفـراء. غيـر دخـلات فيـه الألمانيـة وهـو يشـد فيهـا شـدة مخلطـة بالتبقبيـق والضـرب. الألمانيـة تشـوكات وبـدات تْغْـوّت سـحابها شـي واحـد باغـي يْنْيّقهـا، وهـو سـحاب راسـو تايغـرق وبـدا يهبطهـا تحـت المـا. فضيحـة بجلاجـل دار لينـا، المسـبح كلـو دار تايتفـرج. «الميطرناجـور» جـا تايْكْرْيْـط فـارق شـرابي علـى الضحيـة ديالـو. الألمانيـة خرجـات مـن المـا تاتبكـي وتاتغـوت. حاولـت نشـرح للألمـان شـنو وقـع بالضبـط واعتـذرت للبنـت مسـكينة.

تْفْهّمو شوية، ولكن جراو على شرابي من الغارق وسيفطوه يلعب فالمسبح ديال الدراري الصغار، للي هو فالحقيقة بِركة مائية، سخونة بالشمش وبول الأطفال.

شرابي كَاع ما تأثر بشنو وقع، تْمَغّط تما وبدا يرش على راسو الما فرحان. هادي كانت ديما حالتو. يْعَوّرها ويكمل حياتو عادي. ما عرفتش واش نعمة ولا نقمة. هي بالتأكيد نقمة على للي معاه.

كنت أحيانا فالويكيند تانشري تذكرة ديال التران – القطار – تاتسمى woche-nend ticket – تذكرة نهاية الأسبوع ، هاد التذكرة تقدر تمشي بيها فالقطار لأي بلاصة فألمانيا، بشرط تركب فقط فترانات الدرجة الثانية، للي تايكونو ثقال وعامرين. تذكرة وحدة يقدرو يمشيو بيها 5 ديال الخلق تباركالله. واحد الويكيند شريتها وقلت لشرابي يالله معايا نزورو صحابي فكولونيا. كولونيا مدينة مطرطقة بالمغاربة. كنت تانعرف دراري قراو معايا فالمغرب مشاو يقراو تما. شرابي ما عندو ما يدَّار مشا معايا. وصلنا لكولونيا عند الدراري تهلاو فينا مزيان. باقي ما سخناش بلاصتنا، ديجا بان ليهم الفلسطيني ماشي «سطابل». المهم بْتّنا السبت، الأحد تانوجدو باش نرجعو ويوصلونا للمحطة، واحد من الدراري ما لقاش تقشيرتو ليمنيَّة، تايقلب عليها، والو، كلنا تانقلبو معاه، والو. أوّ! ما يمكنش تقشيرة تْتْبخّر وتْغْبر. بدون أي تردد، الدّرّي دار عند شرابي، قال ليه

- نتا مولاها!
- أنا؟
- حيد السباط نشوف!

شرابي بدا يضحك ضحكة خروانية

- لا والو غا تحيد السباط!

شرابي حيد السباط

- نْصّل التقاشر!
- هذا شرابي

من هنا جات التسمية

- نْصّل!

هادشي للي غا يوقع دابا، كون ما كنتش حاضر ليه وشفتو بعيني، والله ما نتيقوا! شرابي حيد التقاشر، لقيناه لابس فالرجل ليمنية تقشيرة الدري. تقشيرة تحت تقشيرة! ما كاين تا شي تفسير منطقي علاش دار هاكا. ما يمكنش تكون سرقة، علاش غا يسرق تقاشر؟ والأغرب من هذا علاش غا يسرق فردة وحدة؟

الضحك للي ضحكناه بالدموع، غا يْهَجّرو شرابي سيمانة من بعد. تعرّف على واحد «الهاربة» رومانية، لصقات فيه واخا هو ما عندو والو. أنا قلت ربما العينين الساحرتين للي جابو الريحة. جات عندو لبيتو، للي هو عبارة عن موكيط فالأرض، وقرعة ديال «الكيتشوب» فالوسط. دوزات معاه وْقَيّت. واحد النهار جا تايدق عليا وتايْندّب، الرومانية قالت ليه حملات منو! ويلا ما عتارفش بولدو وبدا يْميزي - يخلص، غا تمشي عند البوليس! همم.. شرابي «نورمالمون» سْطل فكلشي كيفاش عرف يحمّل بنت؟

- استعملت عازل طبي؟
- كندوووم؟
- نعم
- آه عملت كندوووم

واخا أنا مازال ما حصليش الشرف فداك الميدان، ولكن شميت ريحة لخواض. دغيا زعما بيه فيه حملات؟ قلت ليه هادي باغا تنصب عليك!

- هل أنت متأكد استعملت كوندوم؟
- آه عملت كندوووم

شرابي دازت عليه أيام عجاف، بحال أهوال يوم المَحشَر. قلت ليه ما تديهاش فيها وقول ليها تدير للي بغات. دار بالنصيحة ديالي وطلعات ختنا فعلا نصابة، حاملة من واحد الألباني مجرم.

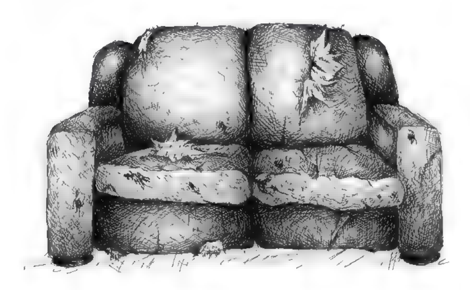
هاد الواقعة حلات الباب لجلسة مباركة ديال الصراحة بيني وبين شرابي. قلت ليه يا ولد العبد شنو تاتدير فألمانيا؟ قال ليا جيت نقرا، قلت ليه يلا قريتي نتا، أجي دفل عليا! جاني فعل آخر من غير الدفال فراسي، ولكن ضبطت نفسي. شرابي بان ليه العيب، بقا ساكت وخلاني تانخطب عليه. قلت ليه ياك بّاك داير لاباس، سير خدم معاه. آش غا تصور فألمانيا؟ ما عندك لا لغة، لا مؤهلات. يوقع ليك شي بلان عوتاني مع شي مصيبة وتصدق

فالحبس ولا فالسبيطار. شرابي تقبل النصيحة ديالي بصدر رحب، لأن أصلا فكرة ألمانيا كانت ديال بَّاه، واقيلا كان باغي غير يْتهّنَّا منو. بعد أيام قليلة، هدر مع بَّاه فالتليفون ورجع لبلادو. آخر خبار عليه أنه خدم تما مسؤول على المعلوميات، فشي حاجة تابعة للسلطة الفلسطينية. يلا تلف ليهم شي مفتاح USB غا يلقاوه فتقشيرتو.

بنفس التذكرة دِّيت واحد الأخ مصري لكولونيا، كان غير مْجْلوّق، دِّيتو ريّح تما عند الدراري دارو معاه مزيان. طاح على إيرانية تْعَرّف عليها فالطوبيس، صدقات بنت لحلال تزوجات بيه وقادّ وريقاتو. دراري آخرين، شي عرضت عليه لعندي، شي سيفطتو عند الناس، كلهم دارو لاباس واستاقرو. وأنا مازال على باب الله، مالقيتش شكون يسيفطني فين نلقى زهري، ونربي الريش بحالي بحال الناس.

الفصل التاسع والعشرون

العدل والإحسان في بلد الألمان



الرجوع للأصل أصل. درت درت وجبت الدورة، باش نرجع لذِرَاعَي الجماعة للي استقطباتني مين كنت برهوش. هاد المرة ما كانش استقطاب، هاد المرة كان شرّ لابد منه.

تْخَنْشَرت بالانتظار دشي فرصة نرحل نخوي لمكان، حتى بان عبد القادر، عبد القادر أخ مغربي خَيّخْ فالعدل والإحسان فالمغرب، وجا لهاد لبلاد يكمل فيها النضال «الياسيني». تايعرف العدليين كلهم ديال ألمانيا. شكيت عليه حالتي، ونصحني أنني نمشي لفرانكفورت. مدينة كبيرة وزوينة، وفيها جامعات وفرص عمل، وأحسن حاجة فيها هي واحد الجماعة ديال العدليين ساكنين فدار كبيرة تما، يقدرو يسكنوني معاهم ويعاونوني تا نوقف على رجلي. ترددت ولكن عبد القادر شجعني. هاد المشية لفرانكفورت غا تغير حياتي، ولكن على مراحل، كل مرحلة قصة بوحدها.

توادعت مع العشران وشديت الرحال لفرانكفورت، وصلت لمحطة القطار لكبيرة، قدها قد السخط، سّوّل من هنا، دوز من هنا، الميطرو الطوبيس، ما كاين ديك الوقت لا تليفونات لا GPS فالجيب. وصلت للعنوان بشق الأنفس.

السلام السلام، جلست، ما عطاوني تا كاس ديال الماء، بقيت واقف فالسطوان، قالو ليا غا يجي شي أخ يوريني فين ننعس. ماشي مشكل أسيدي،

كلشـي يهـون فسـبيل الله ودوّزنـا كُرّف. السـيد دخـل علـى خاطـرو، كانـو رجليـا تّْمّلو بالوقيـف، سّلم عليـا وداني لواحـد البيت، فيـه ديجـا واحـد ناعـس. آش هـاد النـم؟ ورّانـي واحـد السـداري قصيـر، ديـال الأقـزام، قـال ليـا حـط حوايجـك هنـا وتّكّا. همـم.. يـا إمـا تايضحـك معايـا، ولا درت خطـأ كبيـر جيـت لهنـا. بّتّ ديـك الليلـة مقسـوم علـى جـوج، فقنـا صليـت معاهـم لفجـر، وبقيـت فايـق تانقـرا القـرآن وتانخمـم فتخمامـي. شـرقات الشـمس، هزيـت صاكـي وخرجـت نتـرزق الله. اللهـم الـدوران فالزناقـي ولا الجلـوس مـع دوك القـوم!

للـي مـا كنتـش عـارف، وحتاجيـت يومايـن بـاش جْمّعـت المعلومـات، هـو أن هـاد النـاس كلهـم تايعرفـو بعضياتهـم، عندهـم صلـة قرابـة، قريبـة وبعيـدة. هـاد فهمـت أنـه نورمـال يتهـلاو فـذوي القربـى هومـا الأوليـن. عـلاش ننعـس أنـا فالناموسـية وخـوه، ولا ولـد خالتـو، ينعـس فسـديدير؟

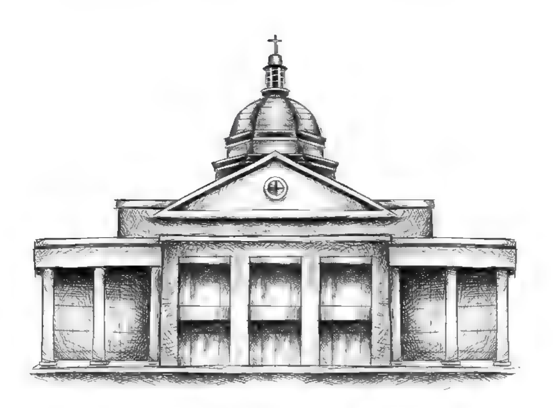
الخطـة ولات باينـة. نعـدي بالنعالـة تـا يجيـب الله السـباط. للـي طاحـت مـن الكاميـو مزيانـة، لقيـت مـا يتـكال معاهـم نـاكل، لقيـت فيـن ننعـس ننعـس، علـى مـا يفرجهـا مولانـا. بديـت نخيـط فشـوارع فرانكفـورت وتسـجلت فالجامعـة تمـا، شـعبة علـوم التربيـة. الجامعـة عاوناتنـي شـوية فالماكلـة، كانـو تايديـرو أثمـان جـد مناسـبة للحُوفَـارَة بحالـي.

يمكـن داك الشـعور للـي كان عنـدي تجـاه الأسـرة العدليـة كان شـعور متبـادل. مـا كانـوش حاملينـي وتايتسـناوني غيـر فوقـاش نعطيهـم التيقـار. مـا قـدروش يصارحونـي، حيـت زعمـا الديـن والجماعـة، ولكـن كانـت المعاملـة تاتخونهـم وتبينهـم علـى حقيقتهـم. يكونـو تاياكلـو مـا يعرضـوش عليـك، يكـون مـول الطوموبيـل خـارج، وعارفـك تـا نتـا غـادي لنفـس لبلاصـة، ومـا يركبكـش معـاه، وزيـد وزيـد.

الأولويـة عنـدي دابـا هـي نلقـى سـكنى رخيصـة. فرانكفـورت لغـلا تايكـوي، وأنـا فقيـر ودراهـم يومـي معـدودة. الحـي الجامعـي للـي رخيـص، كايـن عليـه لائحـة انتظـار طـوّل مـن سـور الصيـن العظيـم. مـا لقيـت فيـن نعطـي الـراس، إلـى أن جـاء اليـوم الموعـود، اليـوم للـي غـادي نلقـى فيـه إعـلان، ديـال بيـت فحـي جامعـي مسـيحي، بثمـن بَخْـس.

الفصل الثلاثون

شكرا سيدنا عيسى



ما تيّقتش الثمن شحال رخيص، واو ما يمكنش، مشيت تانجري للتليفون اتصلت، جاوبني راجل، ألو ألو

- لقيت «لانونص» ديالكم ديال بيت للكراء وبغيت نعرف واش مازال كاين؟
- نعم مازال كاين، واش نتا طالب جامعي؟
- إيه أنا طالب. واش نقدر نجي نشوف البيت
- طبعا، أنا هنا تا للخمسة. يلا قدرتي تجي قبل الخمسة نوريك البيت
- شكرا أنا غا نجي دابا

بديت تاننهج بالفرحة، أخيرا غا نتهنى من المعيشة الضَّنكة فدار عبد السلام ياسين! مشيت تانجري هزيت حوايجي، شديت الميترو، درت «الوالكمان» فودني، وبديت تانْتمْزّك لأناشيد براعم الهدى.

الجامعة المسيحية جات فمنطقة زاز لوز، بحال أي حاجة مسيحية أو يهودية فأوروبا، تا من المقابر ديالهم تاتكون تاتفرح، تاتفتح ليك الشهية تموت، غير باش تتدفن تما مع الأزهار وزقزقة العصافير. فرق كبير بينهم وبين مقابر أمة لا إله إلا الله، خاصة فالدول المنكوبة بحال المغرب. الجّنون تايخافو يمشيو للروضة عندنا.

سولت على السيد للي هدرت معاه، طلع هو المدير ديال الجامعة. دخلت للمكتب ديالو، رحب بيا ترحيب كبير، باينة عليه لامسو الروح القُدُس. سولني على حالي وأحوالي، شرحت ليه الفيلم، قال ليا الحي الجامعي جزء من الجامعة، والطلبة للي ساكنين هنا كلهم مْقَيّدين فالجامعة. هذا شرط ضروري، يلا بغيت نسكن فالحي، خصني نتسجل فالجامعة المسيحية. سولتو واش هانية نكون مسجل فجوج جامعات؟ قال ليا مسموح، قلت ليه سجلني. أنا آش خاسر، الجامعة تقريبا فابور.

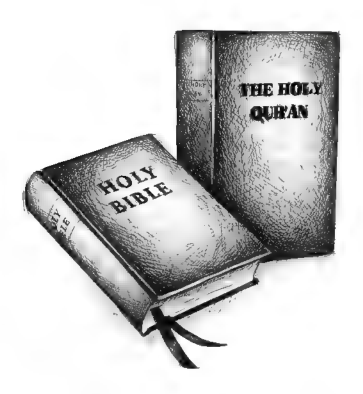
دَّاني يورِّيني البيت، داكشي زاز، غير النقا والجمال والديكورات، يديرو ليك زعزعة عقيدة مسلم. ورَّاني جميع المرافق، الكوزينة، الدوش، غُرَف الفرفَشَة والاجتماعات، المكتبة، الجردة. وصّلني لبيتي كلشي مْتوّل ومفرّش، الناموسية، المكتب، الماريو، وزيدك لاڤابو نعاماس. غير للي ما بغاش يقرا. عطاني ورقة العقد، قال ليا عمّرها وجيبها معاك مين تجيب حوايجك. ضحكني مسكين، وا دااابا! أشمن تا نجي من بعد؟ عمّرت داكشي بيه فيه، عطاني الساروت، دخلت سدِّيت عليا و تلاحيت فالناموسية. حسيت بواحد الراحة نفسية أول مرة نحسها. أول مرة غا نكون بوحدي، من نهار خلاقيت فهاد العالم، بعيد على البشر ومشاكلهم. كون كنت عارف ديك اللحظة كلام المسيح: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم» كون واقيلا لمسني ولا هَزّني الروح القدس فشي بلاصة. فعلا حسيت أنني حيدت قنطارمن على كتافي. بقيت متكي لعشية كاملة، تا دخل الليل هاد نضت نصلي، بلا قبلة، شكرت الله على «بعد العسر يسرا».

قبل ما نعس ديك الليلة، فيقني التفكير من غيبوبة النعيم للي لقيت، هاني سكنت، والفلوس للي كانت عندي فالبنك غا تمشي فالكرا، يلا ما كليتش مول لكرا، شنو غا ناكل؟ بَرّدت على راسي بالآيات والأدعية وسَهْطت.

العدليين ما عاودوش شافو كمَّارتي من داك النهار وموحالش واش ڭاع سوّلو فيا. الله يسهل عليهم وعلى جميع المسلمين، غير يبقاو بعاد مني هذاك هو لْفْضْل.

الفصل الواحد والثلاثون

فرصة ذهبية؟



بديت ندير ركن التعارف مع جيراني فالحي. الألمان بطبعهم باردين، ماشي جنسيا أقصد، أقصد فالتعامل، ولكن هاد الطلبة المسيحيين مختالفين. عندهم طيبوبة ودفئ فشكآل، تاتحس أنه ماشي نفاق، ناس ملاح، خصوصا لبنات. أنا نشطت وبانت ليا فيهم، ماشي جنسيا أقصد، قلت هادي خطة ربانية، جابني الله سبحانه وتعالى تا لهنا باش ندير الدعوة، حامل كتاب الله، مْسّلح بابن تيمية، وطريقي مستقيم.

وليت عاصر عليهم، تانقلب على أي فرصة باش نجبد معاهم النقاش. هوما كانوا تايتجنبوا الدخول فنقاشات دينية. ما كنتش عارف علاش، ولكن عرفت من بعد. خلي تاتجي وقتها. أنا كنت ما مفاكش، باغي نقربلها ونزيد ندخّل الناس للإسلام.

أنا، كمسلم فديك الوقت، كنت واثق من ديني، واثق أن أي حاجة تانعرفها على المسيحية من خلال الإسلام، فَرَاها صحيحة حتما. لذلك كنت تانقلب على الإقناع، ماشي على الحوار، لأن المسلم قليل فاش تايتحاور. عموما للي تايآمن أن عندو الحقيقة المطلقة، تايكون عندو هدف واحد هو يقنعك. أول

فرصة ذهبية جاتني، لقيت واحد «الفيكتيم» - الضحية - تايطيب فالكوزينة وتايتسنا الماكلة تْوْجْد. جيت رْيّحت معاه وبديت نّنْبش. زيّرتو ما لقا تا شي مخرج باش ما يدخلش معايا فحوار/محاولة إقناع. الطريقة للي استعملت معاه كانت مْبْرهْشَة، ساذجة، وعامرة جهل، ولكن كنت تانشوف راسي عبقري فداك الوقت. الطريقة للي استعملت هي نفسها للي ممكن يستعمل أي مسلم، مشحون بما تعلمه في المدرسة والمسجد والشارع.

- نتا تاتآمن بالله ياك؟
- إيه طبعا تانآمن
- تاتآمن بالرسل للي أرسلهم لينا؟
- همم.. طبعا
- تاتآمن بالكتب السماوية؟
- كتب سماوية؟
- التوراة والإنجيل والقرآن

الزبور ما كنتش عارف شنو هو عندهم

- التوراة.. همم.. أوكي.. أنا ما تانآمنش بالقرآن
- ولكن تاتآمن بالإنجيل؟
- نعم أنا أصدق الإنجيل
- أوكي مزيان! التوراة نزلات على موسى والإنجيل نزل على عيسى والقرآن نز..

قطع ليا هدرتي

- ما نزل والو على المسيح
- ياك قلتي تاتآمن بالإنجيل؟
- نعم ولكن الإنجيل ما نزلش على المسيح
- شنو؟! منين جا إذن؟
- تكتب من بعد المسيح

هنا عقلي الإسلامي المبرمج مشا ديريكت للسيناريو ديال التحريف

- تاتهدر على هاد الأناجيل لي كاينة؟ نعم هادو حنا الله أخبرنا بالتحريف ديالهم. أنا تانهدر على الإنجيل للي أنزل الله على عيسى

الألماني دار فيا شوفة فيها التعب والشفقة، حيت عرفني شاد الأمور بطريقة «عوجة»، خاصني بزاف دالخُشيبات، وغادي غير نسخسخو يلا كمل معايا

- حنا ما تانآمنوش أن المسيح نزل عليه كتاب من السماء. المسيح ما كتب والو وما نزل عليه والو. الأناجيل تكتبات من بعد
- لا راه هذا هو المشكل. راه كاين الإنجيل ديال المسيح. الله شرح لينا هادشي كامل فالقرآن
- إسمع، خصني نمشي للأسف، نقدرو نكملو الحوار مرة أخرى
- أوكي نهدرو بالتفصيل المرة الجاية، حيت كاين بزاف ديال لحوايج فالقرآن خاصك تعرفهم

مشا الألماني، رجعت أنا لبيتي وراسي بدا يزنزن عليا. آش تايخرمز هاد خونا؟ قال ليك ما كاينش الإنجيل ديال عيسى!

عييت ما نبرد على راسي ما رتاحيتش. حسيت بالحكْرة، بحال يلا هو انتصر عليا فمناظرة. بقا فيا الحال، بغيت نرد ليه الصرف، بالحجج القرآنية الدامغة. لحسن الحظ كان داك النهار سبت، والطلبة تايتجمعو دائما فليلة السبت، تايشربو كُويسات ويْفوّجو. قلت ما فيها باس، فسبيل الدعوة نرافقهم، والأعمال عند اللهَ بالنِّيَّات.

تفاجأوا بيا ريّحت معاهم، عرضو عليا الشراب رفضت وشكرتهم. هوما تايضحكو مْقْسّرين، وأنا بحال الضبع مخبي، تانتسنا تبان شي فريسة باش نْرَجّع بيها عزة النفس، ونتناقم لداك الأنف للي تْمَرّغ فالتراب. تا واحد ما كان مْسَوّق لشنو تايدور فبالي، ولكن هادشي لي عطا الله.

تسنيت تسنيت، ما جات تا فرصة، فقدت الأمل والوقت تعطل، يالله باغي نّوض نمشي نْرّقد، واحد فيهم، غليظ ولطيف جدا، قال ليا

- من نهار جيتي وأنا باغي نسولك، شنو للي جايب مسلم لجامعة مسيحية؟

نارييي، بحال يلا كنت ميت وحييت من جديد. الرب يبارك تعب محبتك أ خويا الوزن الثقيل، هادشي علاش كنت تانقلب

- أنا مسلم، ولكن كيفما تاتعرفو، الإسلام جا يْكَمّل المسيحية، والقرآن تكلم على المسيح وأمه مريم، وعطانا المعلومات الصحيحة

درت ليه «سقطت الطائرة في الحديقة». ما جاوبتوش على السؤال ديالو، لأن الجواب غا يكون مضحك. شنو غا نقول ليه؟ تّلاَّت بيا ليَّام وما لقيتش كرا رخيص وجاب الله هاد لبلاصة؟

- ما تانعرفش بزاف على الإسلام، كاين لي مختص أكثر مني، ولكن ماشي نتوما تاتقولو أن المسيح ما تصلبش؟
- القرآن تايقول أنه ما تصلبش

إبتسم الألماني وقال

- الكتاب المقدس يقول أن المسيح صلب

قلت مع راسي الله شحال زيان الحوار دابا

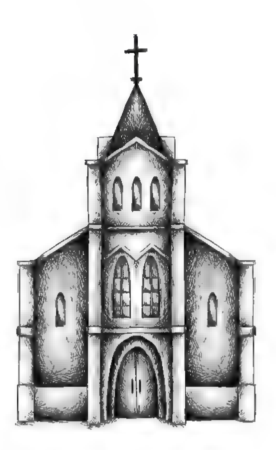
- تناقشت مع «شتيفن» فهاد المسألة اليوم وهو لا يعترف بوجود الإنجيل
- لا يمكن
- قال أنه لا يوجد إنجيل للمسيح وأن الأناجيل تكتبات من بعد
- صحيح
- كيفاش صحيح؟ يعني هاد الأناجيل غير مقبولة؟
- علاش غير مقبولة؟ الأناجيل الأربعة القانونية يؤمن بها المسيحيون

بقيت مشاد معاه، والنتيجة هي شي تايْشرّق شي تايْغرّب. أنا هدرتي كلها من المعلومات الإسلامية للي عندي على المسيحية، وهو تايهدر من معلوماتو المسيحية. ما يمكنش نتلاقاو.

وتقول واش بغا يجيني النعاس ديك الليلة، مشا الجانب ديال الحكْرة، ولكن تحول لإحساس بالضعف المعرفي. كيفاش غا نقنع هاد الناس وأنا ما تانعرفش شنو الإيمان ديالهم. خصني نتعلم من المراجع ديالهم باش نحاربهم بسلاحهم.

الفصل الثاني والثلاثون

خبزنا كفافنا أعطنا اليوم



أش خاصك أ لعريان؟ خصني الخاتم أمولاي. آش بيني وبين شي دراسة مسيحية؟ أنا قاتلني غي الجوع، وما عارفش واش غا نقدر نخلص لكرا الشهر الجاي ولا لا!

ضروري نلقى خدمة توفر ليا مدخول قَارّ، وإلا غا نولّي فما هِيَ وما لَونُها. كنت تاندوز ديما، فطريقي باش نشد الميترو، على واحد الكنيسة كاثوليكية زوينة. واحد القضية تايعرفوها گاع المهاجرين من دول العالم «العاشر»، وهي أن الكنيسة تاتعاون الناس. كل مرة تاندوز، تُحَدِّثُني نفسي بِطرق باب الكنيسة، تانحشم وتانكمل طريقي. واحد النهار الزعامة وصلات لمستوى كافي ومشيت دقيت. حلّات ليا الباب واحد الأربعينية. أهلا أهلا كاين شي ما نقضيو، قلت ليها بغيت نهدر مع القسِّيس ديال الكنيسة. قالت ليا ما كاينش هاد الساعة، ولكن ندير ليك موعد وغا يكون سعيد بلقائك

- شنو سبب الزيارة؟

- خلي تا نتلاقاه ونقول ليه
- حسنا

خذات المعلومات ديالي وعطاتني موعد يومايـن من بعد. مشيت عندهم وأنا مخلوع أكثر من المرة الأولى، حيت غا نتلاقى مول الشّي. دْقِّيت ثاني، دخّلاتني السكرتيرة وجلست فغرفة الإنتظار، مقابل معاها. همم.. هاد ختنا شنو الوظيفة ديالها؟ زعما غير سكرتيرة ولا عندها أنشطة جانبية؟ القسّ ما عندوش الحق يتزوج، ولكن تا يبقى إنسان، عندو احتياجات «سِيكسُوَّالِيَّة». الله أعلم، ماشي سوقي.

مْريّح، تا تايجي عندي راجل عاش أكثر من وقتو، على حساب تقديري، تكون عندو لقليلة شي 90 عام. جاني تأنيب الضمير عوتاني، بحال يلا غادي ننصب على راجل كبير.

- تفضل أجي معايا
- شكرا جزيلا

مشينا للغرفة ديالو فين تايستقبل الناس، قدها قد السخط و «مْأَنْتْكَة» مزيان. هنا فين تايبانو فلوس الضرائب للي تاتجمع الكنيسة فألمانيا. ريّحنا ففوتويات فاخرة، بيناتنا طبلة مصوبة من الزجاج لمْزوّق، بحال ديال شراجم الكنائس، وواحد المَوقد ديال لخشب مْكمّل الجمالية ديال المكان.

- مرحبا بك، أنا إسمي «نُوربِرْت»، كيف يمكنني مساعدتك؟

حنان هاد الناس! خصوصا بصوت هاد الشارف

- أنا طالب مغربي، جيت لألمانيا نقرا ومْقوّدَة عليا، قليل فاش تانلقا الخدمة، وجيت نشوف واش ممكن الكنيسة تعاوني؟
- حسناً حسناً، حنا ما عندناش budget – ميزانية – ديال المعاونة. گاع المساعدات الإنسانية تاتكون بشكل تَطَوُعي من المؤمنين

القضية حامضة إذن

- فهمت أوكي شكرا

بدا يسولني على المغرب، كيفاش الحياة تما و واش عاجبني الحال فألمانيا. من بعد سولني

- فين ساكن؟ واش قريب من هنا؟
- إيه أنا ساكن فالحي الجامعي المسيحي للي فالدورة
- همم.. داك البروتستنتي..

ناري ياكما غا يقلبها سنة وشيعة تا عندهوم

- ..صافي أنا غا نتاصل بالمدير تما، وغا نتكلفو ليك بمصاريف الكراء..

قلبي بدا يفرفر بالفرحة، يلا خلصو ليا لكرا غا يحيدو عليا هم كبير

- ..رجع عندي نهار الإثنين، أنا غادي نهدر عليك مع المؤمنين فالقداس ديال الأحد ونشوف شحال نقدر نجمع ليك

هادي هي the icing on the cake – حب لملوك فوق الكَاطو – أرى برّع!

- شكرا شكرا ما تتخيلش شحال حيدتي عليا من مشكل شحال ما شكرتك ما كافيش
- عندك فلوس باش تاكل؟

كنت باغي نقول ليه ريال ما تانكسابوش، ولكن لكذوب على الله حرام

- مازال عندي واحد البَرَكَة

عطاني الله يرحمو ويوسع ليه قبرو 80 مارك. مشيت شريتها كلها شكلاط كريم وخبز، حطيتهم فالبيت، ندور ندور ونْطَلّس.

يوم الإثنين مشيت فالموعد للي عطاني، ما عوالش صراحة على شي حاجة كثيرة، حيت بنادم ما عارفنيش أصلا. شكون أنا باش يعاوني؟ دخلت رَيّحت، جا عندي عوتاني، مشينا للغرفة ديالو وبدا عليا بالقرنابي، قهرني بالهدور هاد المرة! أنا جيت غير ناخذ «الجِزية» ونمشي، سَّاعة هو قلبها حوار ماراثوني. مشاكيييل.

واحد المثل ألماني تايقول: النهاية مزيانة، إذن كلشي مزيان. بعد ما ناضت ليا «الإيبولا» فودني، مشا للمكتب ديالو، جبد من لمجر جْوَا مسدود وعطاه ليا

- هادشي للي قدرت نجمع ليك، نتمنى أنه يعاونك

تا قلت مع راسي دبرت على سَبُّوبَة أسبوعية آكل منها لقمة عيش، وهو يصدمني

- هدرت مع واحد المؤمنة، وقالت لي نديك عندها، ممكن تْخْدّمك عندها فالجردة

واش غا نولي «جاردينيي» فاخر يَّامي. قلت ليه مْزْيّر فالقراية ما عندي وقت لوالو. كذبت عليه الله يسمح ليا منو.

رجعت للبيت حليت الجوا، لقيت فيه 1400 مارك! مارك ينطح مارك! لكرا خالص والكرش عامرة، دابا يلا بغا الراس يقرا تجي معاه.

الفصل الثالث والثلاثون

المعضلة



ݣاع السوايع - لقلال - للي دوزتهوم فالجامعة «العلمانية»، بغض النظر على المادة المُدَرَّسة، ما حملتهومش،. الجامعة المسيحية بالمقابل، كان حب من أول لقاء! أنا أصلا عزيز عليا التاريخ لقديم، وفتاريخ الكنيسة بالخصوص، لقيت واحد البنَّة منقطعة النظير. يمكن شي جدِّي قديم كان تاهو هاز الصليب وتايدور بحال شي هدَّاوي. المشكل هو أن مع الوقت، بديت نطيح فمعضلة ما فيها ما يتجمع، وهي أن داكشي التاريخي للي تانقرا، تايضرب فالدين الإسلامي! من الإنجيل وجْبّد، عند المسلم الإنجيل هو وحي منزل على عيسى، هاد الكلام الإسلامي ما عندو تا علاقة مع التاريخ للي تايتقرا فالجامعة. كلمة إنجيل فحد ذاتها مشكل كبير، لأن الكلمة يونانية الأصل، تاتعني الخبر السار أو البِشارة. هاد الكلمة كانت موجودة ومستعملة قبل من المسيح. كيفاش الله غادي يرسل نبي يهودي لبني إسرائيل ويعطيه كتاب إسمه يوناني؟ واش المسيح جا عند ليهود ولا اليونان؟ القرآن عرّب كلمة «أويانجليون» وردّها إنجيل، إنجيل فالعربية ما عندها تا معنى، واخا بزاف حاولو يلقاو ليها تخريجات.

ما كاينش إنجيل واحد، بزاف كتبو أناجيل. الأناجيل هوما، بكل بساطة، كُتُب عن المسيح والأعمال والتعاليم ديالو، أو بعبارة أخرى كتب عن البشارة، الخبر السار، للي هو مجيء المسيح والملكوت ديال الرب، والخلاص الأبدي.

بَدَل التعريب ديال «أويانجليون»، كان ممكن استعمال كلمة بشارة، كان يكون أحسن. الإنجيل عندو إسم يوناني، حيت للي كتبو الأناجيل كتبوهم باليونانية، اللغة الأصل. الأناجيل الأربعة للي كاينة فالعهد الجديد، فالكتاب المقدس، هي أقدم أناجيل تكتبات. كلها تكتبات فالقرن الأول الميلادي.

فالفهم الإسلامي، الثالوث المقدس عند المسيحيين هو الله ومريم والمسيح، بينما هو في الإيمان المسيحي، الأب والإبن والروح القدس. الروح القدس تُنسب غالبا لجبريل فالإسلام، لهذا كان الخلط فقصة ولادة المسيح المعجزة. فالنسخة المسيحية جبريل جا بشّر مريم، واللي دار الخدمة هو الروح القدس. فالنسخة الإسلامية كاين غير جبريل، هو للي جا عند مريم وتَمَثَّل لها بشرا سويا، وتَمَّت عملية النَّفْخ.

قصة الصلب والقيامة تعتبر من ركائز المسيحية. الإسلام للي من المفترض أنه جا باش يصحح ما أخطأ فيه أهل الكتاب، خسر على الصلب آية وحدة ما مفهوماش، آية «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم». فين التفاصيل؟ خاصة أن الصلب مسألة ما نْكْرْها تا واحد.

للي زاد ليا التّناوي، هو استعمال القرآن لقصص من كتب مسيحية تكتبات فوقت متأخر، ما عندها تا علاقة بالوحي، لا بمفهومو الإسلامي لا بمفهومو المسيحي. كاع المسلمين تايعرفو القصة ديال المسيح للي خلق من الطين كهيئة الطير، ونفخ فيها الحياة بإذن الله. أو قصة مريم للي جاها المخاض ومشات للنخلة، وعاونها الله بالمعجزات. هاد القصص كلها كاينة فما يسمى بأناجيل الطفولة، هاد الأناجيل تكتبات فالقرن الثاني الميلادي، باش تسد واحد الرغبة كانت عند الناس، أنهم يعرفو أكثر على طفولة المسيح، الطفولة اللي ما مذكورش عليها بزاف فالأناجيل الأربعة القانونية.

أما ديك القضية ديال عيسى ذكر أنه غا يجي نبي من بعدو إسمه أحمد، غير نسا، مستحيل تكون شي حاجة بحال هاكا. الكتاب المقدس كان مكتوب، كامل مكمول، قرون قبل الإسلام، وما مذكورش فيه إسم أحمد أو محمد.

كانت هادي نقطة البداية فمسار الشك، للي غادي نضرب فيه عشر سنوات، وغا يسالي بالكفر والرِّدَّة عن الإسلام.

معضلة خايبة، أنا دابا أمام خيارين: يا إما نْتيّق القرآن، ولو طارت معزة، ونتجاهل ما يعارض، أو نعتارف أن للي فالقرآن مختلف على داكشي للي

تايعرفو أي مسيحي، حتى لو كان تلميذ صغير في مدرسة الأحد المسيحية؟ ختاريت الخيار الأول، وبقيت تانتعلم. بحالي بحال شي عالم جيولوجيا يؤمن بصغر عمر الأرض. فالمختبر تايبحث فملايير السنوات، وفبيتو شاد فستّالاف عام. أنا فالجامعة تانتسا واش أنا مسلم ومنين تانخرج تانقول ستاغفورللّه.

ما بقيتش گاع تانجبد النقاشات مع جيراني، العلاقة تحسنات، حيت ولينا تانخدمو مجموعين فبعض الواجبات المنزلية. تا من ناحية تأنيب الضمير ديال «بلغوا عني ولو آية» لقيت السِّلم الداخلي. عاوناتني النصيحة ديال واحد الأستاذ رائع، واللي من خلالها فهمت علاش الطلبة فالأول كانوا تايتهّرّبو من النقاش فالدين ديالهوم. قال لينا هاد الأستاذ، يلا كنا مؤمنين مسيحيين، ومتيقنين من الإيمان ديالنا، فما خاصناش أبدا نتناقشو فيه، التبشير نعم ولكن النقاش لا! حيت يلا حنا عندنا الحقيقة، يعني الآخر عندو الكذب - الباطل بتعبير إسلامي، النقاش إذن مع الآخر هو خلط الحقيقة مع الكذب. شكون فيهم للي غا يتأثر؟ طبعا الحقيقة. الكذب ما عمرو يتأثر وحتى يلا تأثر، تايبقى مجرد كذب.

العمق ديال هاد النصيحة خلاني نستعملها دائما، ماشي غير فمسائل الإيمان، بل فكل مجالات الحياة.

تجاهلت الدراسة ديال علوم التّربية فجامعة فرانكفورت، وبقيت مركّز غير فالدراسة المسيحية. حياتي ولّات منظمة ولكن كانت ناقصاها الحّبَّة. القس «نوربرت» ما قدرتش نرجع عندو، حيت ما بغيتش نولي بُسّتاني.

الفصل الرابع والثلاثون

ويرزقه من حيث لا يحتسب



المسيح قال للشيطان «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان..»

راه شبعنا إيمان، بغينا خبيّز أ خويا! كليت الدق فشهوة البطن والفرج، الثاني غي تانسمع بيه والأول بقا ليه غير يغوت: أنزل علينا مائدة من السماء.

كَطالب فألمانيا، ما عندكش الحق تخدم كيف بغيتي. عندك غير العطل عادة، من غير يلا لقيتي شي بريكول دائم، مرة جوج فالسيمانة بطريقة ما. شحال وأنا تانقلب على شي عمل قار نقاد بيه أموري، واحد النهار مشيت لواحد لبلاصة خاصة بالطلبة، تايعلقو فيها عروض عمل. بنادم مْكُجكُج تما بحال الجراد، كلشي طالق «لانطير». كل مرة تايخرج واحد الموظف تايعلق فالحيط أي عرض عمل جديد دخل. غير تايكون غادي يعلّق، تايتبعو فرڭ ديال العاطلين، بحال لحمام تابعين شي شارف فيْدِّيه الزّوَان - أكل العصافير. عْصَّرت مزيان تما، حيت أصحاب النفس الطويل هوما للي تايجيبو الرّبحَة.

وصلات لعشية وأنا مازال ناصب الخيمة، تْكْرّه حياتك، تاتفكر فكَاع الطلبة للي طايحين على خديمات بعقلهوم، تايْتْفْرْكْسُو وتايسافرو، وكاين للي بطوموبيلتو، ونتا مقاتل غي باش تجيب تعادل. الحسد تايشعلل فيك!

جوايه الخمسة ونص، قريب يسدو، «الهوموسابيان» الكادح بدا يمشي فحالو، شفت مزيان، صافي بانت ليا الدعوة ميتة.

يالله تانجمع الوقفة، خرج مول لوريقات باش يعلق، تبعناه حنا أربعة بينا. إعلان خدمة فمدينة قريبة شوية لفرانكفورت. فمصبنة! طالبين واحد فالويكيند يدخّل لحوايج للي تايجيو فالكاميونات. 13 مارك – 6.5 أورو – للساعة. تا واحد من للي بقاو معايا ما بغاها، بقيت أنا بوحدي تانتأمل، نزعم ولا ما نزعمش. قلت مع راسي فالأخير ما طالعاش ما طالعاش، آش خاسر؟ نعيط ليهم وربي كبير. ما كنتش عارف أن هاد القرار للي خذيت فهاد اللحظة، غا يبدل لعجّب فحياتي.

عيطت فالتليفون، جاوباتني مرا

- أنا متاصل على ود الخدمة
- واش تقدر تجي دابا؟
- أنا ففرانكفورت، خاصني جبدة ديال الطريق باش نوصل
- ماشي مشكل، أنا مازال هنا واخا توصل معطل

للي ما كنتش عارفو فديك اللحظة، هو أنني كنت تانهدر مع زوجة المستقبل القريب!

مشيت شديت التران وجوج طوبيسات، وصلت للمصبنة لقيتها سدات! ياكما دارت ليا رَّاوْ دَّاوْ؟ دقيت فالباب ديال الزَّاج، تاتبان ليا الألمانية جاية، أربعينية شقراء، زرقاء العينين، والجسم عامر. حلاّت ليا دخلت، من هدرتها باينة إنسانة راقية ومثقفة. شرحات ليا نوع العمل، قلت ليها ما كاين مشكل، درت معاها نبدا فالويكيند الجاي. الحاسة السادسة ديالي قالت ليَّا أنني دخلت ليها لقلبها والله أعلم، حيت الابتسامة للي كانت على وجهها، والشوفة للي شافت فيا، ماشي بحال أي حاجة عشتها من قبل. هو صراحة ما عمر شي بنت شافت فيا شوفة زينة، ولكن هادي كانت حقا «سپيسيال».

رجعت للحي فالليل تانفكر فالألمانية، سَيْل من الأسئلة غزا دماغي. واش بصح عجبتها ولا غير تانحلم؟ تقدر تكون هاديك هي طبيعتها، ضريفة مع الناس كاملين؟ ياكما خربقتها فشي حاجة؟ ياكما كان خصني تا أنا نبّيّن ليها؟ ياكما عجبها صوتي داكشي علاش تسناتني؟ ياكما أنا غي تانْخْوّر وخاصني ننعس؟

بقيت تانحسب الساعات والدقائق فوقاش غا يوصل السبت باش نمشي عندها. نهار وصل ومشيت، ما كانتش! ديما لعكس فهاد الدنيا. خيبة أمل، ولكن على الأقلِ فقت من الأحلام. السيدة كون كانت مْسوّقة ليا كون استقبلاتني اليوم. ضْحْكت على الغباء ديالي، جا الكاميو وبديت نخوي فالحوايج.

داك السبت داز حامض. ما تسرطاتش ليا التقوليبة. لكن كتاب الله تايقول: من يتق الله يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب. ديك «من حيث لا يحتسب» ما تعطلاتش. نهار الأحد مشيت ما عوال على والو، تانفكر غير فالكاميو للي هلك ليا لكتاف البارح، خصني نخويه اليوم عوتاني.

دخلت للخدمة، تانلقا مولات الخير تاتهدر مع للي شادة «لاكيس». شافت فيا ديك الشوفة القتّالة ثاني. واهيا ناري، ياكما تانتخيّل شي حوايج ما كايninش؟ مشيت لحدا لگاراج تاندخل لكراطن، وكل مرة تاتجي تحوم بيا. المرة الأولى قلت يمكن غير تاتشوف واش تانخدم مزيان، الثانية هانية، الثالثة مُسامحة، الرابعة والخامسة وا بزاف، الله يجعل شي بركة! شنو بغيتي مني أ لالة؟ حسّات بيا وجهي مزْنّكْ وحشمان منها. ضحكات باش تهرس الجليد للي بيناتنا، و بدات تسولني منين أنا، فين ساكن، شنو تانقرا. الأسئلة ديالها كانو حلوّين وما فيهمش النفاق. خلاتني نخدم واحد الوقت، ورجعات جايبة معاها جوج بانانات! همم.. بانت ليها فمؤخرتي الإفريقية ولا كيفاش؟ قالت ليا هاد النوع دالبنان زوين، غا يعطيك الطاقة. أري أ الشريفة الله يجازيك بخير. فعلا داك النوع دلبانان مريييگل.

الويكيند للي بعدو زاد التقرب ديالها مني، كانت تاتخرج تغبر شوية، ومنين ترجع تجيب ليا شي لعيبة فيديها. أنا ستحليت هاد العطف، واخا بغيت نعرف واش غا نوصلو شي نهار للحلوة، ولا غا نبقاو غير فحلوة البانان؟

الفصل الخامس والثلاثون

الفرج قريب



إن بعد العسر يسرا، من بعد الكرب، تايجيب الله الفرج، الفرج بالتَّشكيلَين معا.

قبل ما نوصل للخيرات، كان علينا ندوز أخيب أوقاتي فألمانيا. كان كلشي للي بنيتو غا يتهدم، ونولي بحال أمين الأعرج للي سيفطو ليه بْرِيَّة غليظة. داك النهار كنت معاه، حلينا ديك لبرية بجوج. أمين كان تايفتخ جوَان، قال ليا قرا قرا شنو فيها. داكشي للي قريت، ضحّكني وصدمني فنفس الوقت، كتبو ليه ما ملخصه:

بإسم الشعب الألماني - الله الله على دخلة! - إلى أمين الأعرج - كنيتو للي كتبو ماشي الأعرج، جيتي من المغرب لألمانيا بتأشيرة دراسة نهار كذا وكذا، وتسجلتي فالجامعة كذا وكذا، وسكنتي فكذا وكذا، ودرتي كذا وكذا، وبداو تايعرضوا عليه حياتو من نهار حط رجليه فألمانيا، لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها. حطوا ليه ݣاع الدواصة الخانزين ديالو، ݣاع لفلوس للي ما خلصش، ݣاع الدعاوي للي ضدو، ݣاع جلسات المحكمة للي ما حضرش ليها، وختمو الرسالة بالهدف الرئيسي منها، قالوا ليه: عليك بالتوجه إلى أقرب سجن وخذ معك هذه الرسالة ليسجنوك 12 يوما!

كثرة الهَمّ تاتضحك فعلا. أمين ما تسوّقش ليهم، بل زاد على راسو التُّهم. الكارثة الأولى كانت مين تعرف على طايوانية طالبة، تا هي عرجة بحالو، سكن معاها واحد الشهر، ومن بعد تسوطا ليه شي «ڤيزيبل» فالراس

وفرشـخها عصـا بالعـكاز. القضيـة دخلـو فيهـا البوليـس والجامعـة والقيامـة. الطايوانيـة خافـت ينتاقـم منهـا وسـمحات فحقهـا.

الكارثـة الثانيـة للـي دار، هـي التزويـر ديـال الأوراق بـاش يجددو ليـه الفيـزا. عاقـوا بيـه وسـيفطو ليـه بريـة خامجـة عوتانـي، هـاد المـرة قالـو ليـه خـوي لبـلاد! عطـاوه مهلـة ديـال جـوج سـيمانات! أميـن غـا يبيـن علـى مكـر خطيـر، العُصـارة ديـال التكّلّبيـن والدهـاء ديالـو غـا تبـان فهـاد الوقـت. مشـا عنـد واحـد الألمـان لاباس عليهـم، كان تصاحـب معاهـم فشـي وقـت، سـرق ليهـم مجوهـرات مـن الـدار ومشـى باعهـا للرّواسَـة، بثمنهـا صـوّب جـواز سـفر طاليانـي مخـدوم بشـكل احترافـي، ومشـا بيـه لكنـدا حـرڭ تمـا! هادشـي دارو فجـوج سـيمانات!

أنـا مـا ضربـت حـد مـا زوّرت وراق، لكـن درت خطـأ تقنـي وخرقـت قانـون مـا كنتـش ݣاع عارفـو. بدّلـت الجامعـة ثـلاث مـرات وهـادي ممنوعـة. الجامعـات مـا تايقولـو ليـك والـو، ولكـن نهـار تمشـي تمْـدّد الإقامـة تايصعقـوك. قالـو ليـا مـا عندكـش الحـق أ سِّـي هشـام تبـدّل الجامعـات كيفمـا تـا تبـدّل حوايجـك

- ما غا نمددوش ليك الإقامة
- ولكن راه خصني الإقامة باش نكمل قرايتي
- هذا هو القانون
- أيوا شْنّي لمَعْمول؟
- خاصك ترجع لبلادك
- ما كنتش عارف هادشي
- آسف ولكن هذا هو القانون

هـذا هـو الخسـران المبيـن، كاينـة حاجـة وحـدة خيـب مـن هـاد القالـب، هـي دخـول جهنـم! حصلـت حصلـة مـا تبغيهـاش لعـدوك. آش غـا نرجـع نْزْمّـر فالمغـرب؟ بديـت نطلـب اللّه، ولكـن شـحال قـدك مـن «ياربـي» يـا لبايـت بـلا إقامـة. ضْلّمـات الدنيـا فوجهـي. تـا قلـت بديـت نديـر بلاصتـي ونسـتاقر، هـا المـرض خـرج ليـا مـن الجنـب. الفيـزا باقـي فيهـا شـهر وصريّـف. كيفـاش غـا نديـر؟ الحـل الوحيـد للـي يمكـن ينقذنـي هـو الـزواج. مـولات المَصبنـة؟ واخـا تكـون مزعوطـة فيـا زعطـة مهبولـة، واخـا نكـون سـاحر ليهـا، مـا يمكنـش تقبـل تـزوج بيـا فشـهر. طـاح عليـا واحـد الضِّيـم قبيـح. نهـار السـبت مشـيت مكتئـب للخدمـة. درت راسـي مـا كايـن والـو، خدمـت خدمتـي، دارت معايـا الواجـب بحـال ديمـا. ميـن جيـت خـارج قالـت

ليـا بلاَّتـي نوصلـك بالطوموبيـل. تزعزعـت! هـا دعـاوي الخيـر بـداو يتحققـوا واقيـلا. درت داكشـي ديـال الصّـواب، قلـت ليهـا شـكرا بـلا مـا تعذبـي راسـك. أصـرَّت عليـا، قلـت ليهـا أوكـي.

واااحـد المرسـيديس ديكابوطابـل عندهـا! وا الواليـدة! خرجـي مـن القبـر وآجـي تشـوفي ولـدك فيـن وصـل!

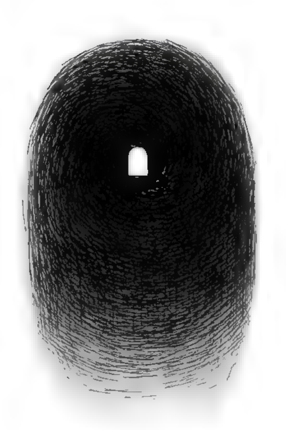
ركبـت فـداك التمخميـخ، طلقـات موسـيقى هادئـة، وشـدات بينـا الطريـق. أنـا واخـا المتعـة، راسـي بقـى مْفيكْسـي علـى سيناريـو واحـد: ليـوم راكـب فحديـدة عالميـة، وغـدا غـا نركـب فكرُّوسـة قنيطريـة، جارّهـا بغـل تايوكّلـوه القرقوبـي، بـاش يولـي سـريع، ويزيـدو عليـك درهـم فالمركـوب.

مـرة مـرة كانـت «رَجُلَـةُ الأعمـال» تاتـدور عنـدي تاتلـوح ليـا ضحيكـة، وأنـا تانتبسـم وخايـف لا يضحـك عليـا القـدر.

وصلاتنـي للحـي، شـكرتها، بغيـت نحـل البـاب نهبـط، حطـات يديهـا علـى يـدي! لمسـة يـد، بـدون صافـرة الحكـم، شـوف فيـا ونشـوف فيـك أ طاجيـن الحـوت. الشـوفة ديالهـا كان فيهـا ارتبـاك. مـا عرفاتنيـش كيفـاش غـا «نْريَاجـي». عـادي هـاد الارتبـاك، حيـت كايـن فـرق كبيـر فالسـن بيناتنـا. مـا قدرتـش نْسَّـلّ يـدي مـن تحـت يديهـا لأن غـا تجـي معيقـة. بقيـت جالـس، شـوية قرّبـات وجههـا منـي، أنـا تْكُوفْـرّت فبلاصتـي، باسـتني فالحنـك! دْوّرّت وجهـي عاوداتنـي فالفـم!

الفصل السادس والثلاثون

الفرج بْوْراقُو



أول قبلة فحياتي دارت ليا القلق. ما عرفتش واش قَوّدتها مع الله غا يندّمني عليها، ولا غا يغفرها ليا حيت غير لَمَمْ - ذنب صغير. الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم. من جانب آخر، راه هاد الألمانية أحسن حاجة ممكن توقع ليا فهاد المُصاب الجَلَل. السؤال هو كيفاش غا ندْخْلْها ونفتح معاها موضوع الزواج؟

القنبلة الموقوتة بدات تدير «تيك» «تيك»، الوقت تايطير، ياكما غا نولي حراك؟ خصني يمكن محامي؟ واش نرّكّز على الألمانية؟ الحيرة قتلاتني.

الضو ديال الفرج غا يبان نهار السبت. مشيت لابس أحسن ما عندي من ثياب، درت المسك، هو للي كان عندي، ودعيت الله يفك الجرَّة. خدمت خدمتي، مين ساليت جات سولاتني، واش كليتي؟ قلت ليها لا. دَّاتني لواحد المطعم خمس نجوم، حشمت ندخل ليه بسباطي، كلينا الحوت بزبالة دلفلوس، الله يخلف عليها. ركبت معاها ثاني فالطوموبيل، وصلاتني للدار مُعزّز مُكرّم.

بغـات عوتانـي تديـر ليـا الديكـور ديـال «غْفْـلْ شْـنايْفْك طَـارُو»، لكـن المؤمـن لا يُلدغ مِن جُحـر مرتيـن، رجعت للّـور وقلت ليهـا مـا غاديش نقدر نكمل الخدمـة. تصدمـات، سـولاتني عـلاش؟ ديـك «عـلاش» هـي للـي كنـت تانتسـناها تقولهـا، بـاش نخـوي عليهـا لمزيـوْدَة.

عـاود ياما تعاود، وهـي مْخَرّجة عينيهـا بحـال يـلا شـافت عيشـة قنديشـة. ميـن سـاليت «خُطبـة الاسـتعطاف»، سـولاتني

- واش نتا باغي تبقى فألمانيا ولا بغيتي ترجع للمغرب؟

قـوادة هادييـي! لِمّـن كنتـي تّعاود زَبـورك أَ داود؟ نورمـاااال باغـي نبقـى فألمانيـا، آش غـا نرجـع نْكُجْـدْر فالمـاروك؟

- نعم طبعا باغي نبقى ونكمل قريتي
- وشنو الحلول لي يمكن تدير؟

أيوااا، ها الهدرة الزوينة! زَيّر زَيّر ما تْفَرشّ الفيلم!

- خصني واقيلا محامي
- محامي يقدر يعاونك تبقى؟
- لا ولكن يقدر يعاوني نبقى مدة أطول

أنـا مـا عارفش ݣاع شـنو يقـدر يديـر المحامـي، غـي مـا بغيتش نهدر علـى الـزواج ديريكـت ونبـان انتهـازي

- يعني واخا المحامي يعاونك ما تقدرش تكمل قرايتك؟
- إيه ما نقدرش

بـدات تشـوف ف «اليـارْ بْريـز» - النافـذة الأماميـة، وطْـوّلات الشـوفة. دخلنـي الشـك، عنـداك تكـون فقـدَات فيـا الأمـل، وتاتفكـر تسُوسْـني وتْقَلّـب علـى شـي «غُـلام» آخـر تقضـي بيـه؟ خصنـي نعتـق الموقـف نـاري زرب زرب

- الزواج هو الحل الوحيد الدائم!

طلقتها ما قدرتش نصبر

- الزواج؟
- إيـه، يـلا تزوجـت مـن ألمانيـة أو شـي وحـدة عندهـا الإقامـة، يعطيونـي الفيـزا ونقـدر نبقـى

- ممكن نتزوج بيك أنا؟

ناريييييييي!!! يمكن تانحلم وغا نفيق، كيفما تانفيق ديما من الحلمات ديال جميع لفلوس، وتانلقا راسي حازق فالصباح؟ فعفعاتني بنت اللّدينة، خَلّطات ليا الضحكة مع البكية، الفرحة مع الدهشة

- همم.. همم..

بقيت تانتمتم

- يلا يقدر يعاونك الزواج منّي نديروه
- خصني نهدر مع دارنا

وا شووف المغربي شحال خاص بوه لعصا! ديما هدرتنا مْلوّية، علاش ما نكونوش بحال الناس العاديين؟ نكونو ديريكت فمعاملاتنا، بلا مراوغات.

مشات فحالها وأنا مشيت لبيتي، لقيت الطَّلَبة دايرين حفلة، بحال يلا علمهوم اللّه أن الفرج ما بقا ليه والو نشاعلله، بحال يلا تايحتافلو بيا.

ما جانيش النعاس بقيت ساهر معاهم، عياو فيا نشرب معاهم، واحد الشراب حلو تايسخنوه فوق العافية سميتو Glühwein. قلت ليهم «أوهو» - لا، يلا شربت معاكم صافي! من هادي للكَارو!

نهار الأحد جابتني عوتاني للدار، ما هدرناش فموضوع الزواج كَاع، ولكن هاد المرة كانت عندها نية مُبَيَّته. يمكن باغية تجَرّب لعريس قبل ما تمشي عند لعدول.

وصلنا، قالت ليا ما عمرك عرضت عليا نشوف فين ساكن. قلت ليها فخاطري آش غا تشوفي فبيت وكوزينة مع الجيران؟

حَصْلت، مع خايف تتراجع على قرار الزواج، قلت ليها أوكي أجي معايا. مشينا، شادّة ليا فذراعي، واحد المنظر متناقض. أنا لحيتي منتوفة وشكلي بحال دوك اللحايا للي تايبيعو «السُّوتيامات» فالسويقة، وهي سيدة أعمال أنيقة. تقريبا بحال يلا أنا مختاطفها! سبحان مبدل الأحوال، غا يجي الوقت للي هي غا تختاطفني فيه بصح!

طلعنا للبيت عندي، كاين غير كرسي واحد، جلسنا بجوج فوق الناموسية، بحال البدية دشي مشهد ففيلم إباحي. حطّات يدها على فخذي، لا حول ولا قوة إلا بالله! الجهاز التناسلي الذكري ما يشاور، ولكن الخوف من الله

فْرَانَانِـي، آسـف رانـي مـازال مْتيّـق الكذبـة للـي كذبـت علـى راسـي، الخـوف مـن الجنـس، والمسـمار للـي فراسـي مـن جهـة الإقامـة هومـا للـي فراناونـي. تْشَـجّعت وقاومـت أكثـر مـن سـيدنا يوسـف، للـي كان غـا يمشـي خـلا مـع مـراة العزيـز، لـولا التدخـل الإلهـي. قلـت ليهـا سـمحي ليـا، دينـي تايمنعنـي نكـون معـاك فخُلـوة. يـلا تجمعـو جـوج حـرام علـى بعضياتهـم، تايكـون ثالثهمـا الشـيطان. الألمانيـة تْفهّمـات الموقـف دون مشـاكل وعتـاذرات. قلـت ليهـا هانيـة، اللّه أودي!

غيـر مشـات وسـديت البـاب، عاونـت بالمـواد اللَّزجـة، بـاش نْفـرّغ داك الفيضـان للـي تجمـع وقـرب يفرقـع الخصيتيـن.

الفصل السابع والثلاثون

الزواج الأول



الزواج الأول؟ أواه؟ كاين زواجات آخرين؟ إيه كاين زواج ثاني غا يجي من بعد.

باش ما نديرش الخطأ ديال الزواوي، للي داو ليه الألمانية وسط الجامع، قرِّيت الهمزة ديالي مزيان ووجّدتها للزواج الإسلامي. طبعا ما كاين تا شي استفادة من هاد الزواج الشرعي من غير تْفْراح لقريّد بما يرضي الله.

لبّستها الدرَّة واللباس المحتشم، مشينا قضينا الغرض، ومن تما ديريكت لبيتي فالحي. طيّبت سبَّاغيتي بالكفتة، كْلينا فالكوزينة. الطلبة كانو تايشوفونا ما تانعطيهمش راس الخيط، داري على شمعتك/تأشيرتك تضْوِّي.

جلسات معايا فالغرفة، الهدرة والضحك، لكن أنا مخبِّي الهَلَع من داكشي للي حتما جاي. أول مرة غا نشوف مرا عريانة فالواقع، بدينا بالمُقدِّمات و «المُقبِّلات» وأنا تانتفتف، كلشي جديد عليا. كنت لابس سروال «الدّجين» وكان مزّيّر عليا بزاف. مين مشينا عقدنا عقد النكاح فالجامع، ولمعلّم دِيالِي تايتسنا النكاح، واجد ناضي، وأنا خانقو فالسروال. ماعرفتش واش الدِّيفُّو كان مني ولا منها، ولكن بقينا فالمُقدِّمات - قدِّموا لأنفسكم - من جوايه الثمنية تا لحداش ديال الليل! صديقي، أسفل البطن، دار ثورة الجياع. شاف تا عيا، ما لقا تا بَصيص ديال الأمل، نتاقم مني ورَجّع ليا الكيل كيلين، والصاع صاعين. مين وصلنا لبيت القصيد، بعد تخلاط بكتيريا الفم مليون مرة، قال ليا المسكين عُوم بحرك، كما تدين تدان.

ويلي على شوهاااا، ليلة الدخلة زعماكينا. ياكما حيت ما درتش دعاء الجماع؟ عييت ما ندير محاولات الإنعاش، دون جدوى. عنقاتني المنحوسة ونعسات. أنا بقيت تانْبرْقْقْ وحشمان على عرضي.

الوسواس ديما تايجيب ليك أفكار لا علاقة، قلت صافي خْسّر ليا الموطور، ما غاديش تزوج بيا، وغا نرجع للمغرب ننش الذبان. بديت نهدر مع عدو الله، ياك أولد لحرام ياك! كنتي سبعة لزيرو فالسّليخ، كيفاش تا خويتي بيا فالمعقول؟

مع ديك جوايه الثلاثة ديال الصباح، تسامح معايا صّبّع الكرش، وبدا يدير خطوات خجولة للارتقاء. لمّرا ناعسة تاتحلم كُحْشتها فيّقتها، وبيه فيه! أول مرة ندخل لداك المكان المبارك، دغيا تمت العملية. الألمانية دارت فيا الشّوفة ديال مول الكرموس للي قْلّب ليه مْرْدَة السّطولة. أنا ما فهمتش مالها، حيت ما كانت عندي تا معلومة كيفاش لمرا «تاتفونكسيوني». كان تايسحابني الرَّعشة عند لمرا تاتوقع أوتوماتيكيا مع الرعشة ديال الرجل!

- صافي؟
- شنو؟
- مالك على الزربة؟
- الزربة؟
- ما فكرتيش فيا؟
- شنو؟ ما فهمتش

شدَّاتني دارت ليا دروس مَحو الأمِّية الجنسية مع النبوري. دروس بكل شفافية، للي مازال تانستافد منهوم لحد الآن. فوائد مِّيمَة ناضجة، فاهمة الجسد ديالها، ماشي بحال برهوشة، ونتا برهوش، وشي يتكرفس على شي.

دازت الأيام، تزوجنا وكرات ليا دار بوحدي. بدات حياة الرفاهية. لحديد الواعر، أفخر المطاعم، التسافير. بجانب المصبنة، كانو عندها محلات آخرين ومشاركة فمقاولات ولعيبات، ملايْنيَّة! ما عمري سولتها على شحال عندها، حيت لالمان ما تايحملوش هاد السؤال. استمتعت بالغنائم، وقطعت الواد ونشفو رجليا. من المْرْجة إلى أعلى درجات المجتمع الألماني!

كنا تانتلاقاو ثلاثة أو أربع أيام فالأسبوع، غالبا هي تاتجي عندي، تانقصّيو مزيان وتانديرو الالتزامات الاجتماعية.

مع الوقت بدا الاهتمام ديالها بالاسلام يزيد. أنا فرحت، لأن الهدف ديال أي مسلم هو يدخّل مرتو للإسلام وتبدّل سميتها. ݣاع للي عندهوم شي ولدهم أو خوهم فالغرب، تايبغيو هاد القضية تتحقق، تايبقاو يحكّو على الدّبّرة ويضغطو عليه، واخا هوما تايعرفو الإسلام غير من رمضان لرمضان. ما عرفتش السبب علاش؟ ربما زعما دخول الزوجة للإسلام يعني صافي، راه ضمنها، ولاّت ديالو، يقدر يتحكم فيها بالقوامة الإسلامية؟ ما نعرف.

أنا ما كنتش من العاجزين، دبّرت ليها فقرآن ألماني، ويا ليتني ما فعلت! مع هي تاتموت على قراءة الكتب، شدات القرآن هبطات عليه قراية. مين تلاقينا رجّعاتو ليا وقالت ليا بالحرف:

- هاد القرآن مخربق!

ما عمر شي واحد قال قدامي كلمة خايبة على القرآن. تقلقت!

- كيفاش مخربق؟!
- ما عندو لا راس لا ساس، ما متناسقش، ما كاين تا شي موضوع، كل مرة يهدر فحاجة، ما عندها علاقة بالحاجة للي موراها

ما عرفت ما نجاوبها، قلت ليها الجواب التقليدي ديال المسلم من تايحصل

- حيت مترجم، بالعربية زوين وبنين وحنين وفيه الإعجاز اللغوي والعلمي ومتناااسق

ما قنعتهاش، ولكن ما بغاتش تغانن معايا، قلبات الموضوع. تا أنا من داك النهار شديت تيقاري، ما بغيتهاش تقول شي حاجة خايبة على الإسلام.

الفصل الثامن والثلاثون

لفراق



درت أكثر من السنة النبوية، تزوجت بمرا غنية أكبر مني بعشرين سنة! صّوّبت وريقاتي، وولّيت بفليساتي، علاش سخن عليا الراس باش نطلّق؟ ما عنديش الجواب على هاد السؤال للأسف. القضية ما فيها لا استغلال لا والو، كون بغيت نستاغلها، كون بقيت معاها عايش حياة البورجوازية، علاش غا نختار نرجع للفقر والشجاعة؟ هي ما دارت ليا تا حاجة، بالعكس، الوقت للي كنا فيه مع بعض، دارت معايا الطوب ديال الطباطب ديال بخير. كانت بحال الجن/الجنية ديال المصباح السحري. للي بغيتها تحضر. تا لمشيات للمغرب، للي مشيت فيهم بوحدي، خلصاتهم من جيبها.

خاطري، بكل بساطة، ما بقاش مرتاح للعلاقة. ما بانش ليا أي مستقبل نكونو فيه بجوجنا. يقدر يكون عامل السن لعب دور، ولكن فقط فاللاوعي ديالي.

هنا غا يبدا واحد المسلسل مكسيكي درامي من ألف حلقة. السيدة ما قدراتش تتقبل أنني باغي لفراق. والو! بالسوايع تانهدرو وهي سادّة دماغها.

ما كانش تايسحابني تاتبغيني لهاد الدرجة. وا لصقة و آشمن لصقة. كان ممكن نبتزّها لو كنت حقير، لكن هادي آخر حاجة نقدر نديرها.

ما قبلاتش نتفارقو بشكل سلمي، ولِّيت تانتجاهلها، تاندوّز أوقات الفراغ كلهم فالجامع، باش ما تجيش تعصر عليا. حاولات معايا بكل الطرق، ما بقاتش تاتخلص ليا لكرا ديال الدار، قالت أنها سْلمَات، ولاّت تاتمشي للجامع تقلب عليا! وأنا هاد زدت كرهت داك الضغط ديالها. ولِّيت تانهرب من ݣاع الأماكن للي ممكن تلقاني فيهم. دبّرت على بيت صغير فالخلا والقفار، تسجلت فشعبة اللسانيات، ووليت مركّز على لقراية والخدمة والدار. تا الجامعة المسيحية ولِّيت نمشي ليها غير مرة مرة، حيت ركّبات فيا مراتي «البارانويا».

شي تايديك لشي، وكل خطوة تايخطوها الإنسان، عندها القدرة على تغيير الحياة جذريا. فأول حصة ديال اللسانيات، تعرّفت، من بعيد، على زوجتي الثانية. بنت زوينة بزاف، out of my league بالعبارة الإنجليزية، ما تاتلعبش فالدوري للي تانلعب فيه أنا.

بدينا لقراية فوقت واحد، ولِّينا نتشاوفو فجميع الحصص ديال الدورة الأولى، هادشي بدا فشهر أبريل. فشهر شتنبر تزوجنا إسلاميا! شنو وقع بين أبريل وشتنبر؟

من أبريل تا ليونيو بقيت غير تانتفرج، شوف وما تقيسش، ما تهدرش، ما تبتاسمش، ما تدير والو! الشّوف ما يبرد الجُوف، وأنا ما عنديش ذرة ديال الزعامة، وما عمري زعمت على الجنس اللطيف. أصلا احتمال ضعيف جدا جدا أنها تسوّق ليا، زيد على هذا أنني، رسميا، راني مازال مزوج، وعندي مرا حمقة تاتقلّب عليا بحال «الإنتربول» - الشرطة الدولية.

فديك الوقت، كان مازال ما كاين لا «سمارتفون» لا «لابتوب»، كنا تانمشيو لواحد القاعة فالجامعة، فيها الحواسيب خدامين بنظام تشغيل قدييم، MS-DOS. باش تسيفط بريد إلكتروني، خاصك تكتب فشاشة كحلة. طاحت عليا فكرة حمقة، قلت مع راسي نسيفط ليها إيميل نعبر فيه على الحب ديالي. بحال كيف تايديرو التلاميذ - أنا ما عمري درتها - فالمدرسة بتسيفيط رسائل الشعر والحب.

شنو غا نكتب ليها؟ بعد تفكير عميق، وتأمل طويل، وتردد وقلق، وبزاف ديال العرق، كتبت جملة واحدة، جملة للي العالم كامل تايعرفها واخا بالألمانية: Ich liebe dich – أحبك.

تخربيقة تزربيقة! السيدة ما تاتعرف عليا والو، ما عمرنا هدرنا، لا بلسان لا بإشارة، ونجي نكتب ليها أحبك؟ لحماق هذا. درت كلشي فيد السميع البصير وما كانش عندي أي توقع أنها تجاوبني. لكن الله ما خيبنيش والمفاجأة كانت قوية. جاني الرد، ماشي الرد ديال الأحلام، ولكن على الأقل رد. سحابها شي واحد تايتريكّل عليها، قالت ليا أنها تاتعيش حالة نفسية صعيبة هاد ليّامات، ويلا بغيت، نقدرو نتلاقاو فالجردة ديال الجامعة فاستراحة منتصف اليوم. بشاخ! خلقت السعادة ب «ايش ليبيديش»!

مشيت فالاستراحة، الجو كان سخون والطلبة لابسين من غير هُدوم، بنادم طالق الخلايا دجلدو يشارجي الفيتامين «دي»، أنا غادي وجهي مرسوم فيه البؤس، بحال بوليس الديوانة فالدخلة ديال طنجة، تانقلب على الحسناء بحال شي إرهابي تايقلب فين يتفركّع. وجهي حمار و«بغال» بالحشمة، واخا هاكاك درت النية وكملت البحث، تا لقيتها مريّحة فالربيع، شافتني من لبعيد بتاسمات، أنا جاني الما فالركابي. وصلت عندها بحال آخر مومن غا يدوز من الصراط، صوتي مشنوق بالخلعة.

السلام السلام خرجات بزز، لكن كّاع المخاوف ديالي طلعات غير مبررة، البنت «كول» cool بزايد، وماكينة ديال الهدرة. أنا بقيت غي تانسمع وتانسترجع الأنفاس ديالي. فالأول بان ليا غير تانضيع الوقت، ما كاين تا شي نتيجة مع ختنا. شوية بان الضو فآخر النفق، بدات تعاود على دارهم، وكيفاش هي من عائلة مؤمنة مسيحية، وكيفاش حياتها كلها عاطياها لسيدنا عيسى. أنا عينيَّا برققوا، «كومبيناسيون» واعرة! غا نستعمل المسيحية بحال حصان طروادة، ونزرع ليها الإسلام.

ولِّيت فالقسم تانجلس حداها، تانقرب كل حصة سنتيمتر، تا ولِّيت تقريبا تانقيسها، بقا ليا غير نـدّوّر عليها ذراعي. عرضات عليا لبيتها، وعرضت عليها لبيتي، وكانت ديما خُلوة شرعية، ما درناش «لكلام». زنزنت ليها مزيان فودنيها، ولكن جوج مشاكل وقفو ليا فالطريق، المشكل الأول هي باقة صغيرة، مازال بِكر! سبحان الله من خديجة وسودة لعائشة، تقريبا نفس السنة تبعت تا أنا، الزواج هو آخر حاجة تاتفكر فيه وحدة مقبلة على الحياة، و يالله

بدات قريتها. المشكل الثاني للي أكبر، هو واليديها، للي بغاو ينتاحرو مين قالت ليهم عليا. أجنبي خرواني، وزايدها بالإسلام! أنا نجّرّ من جيه، وهوما يجّرُّو من جيه، هادشي كامل وأكبر سر مازال مخبيه، وماناويش نفشيه، وهو أنني مزوج!

بقينا على ديك الحالة ديال العلاقة الحلال، تانزيّن ليها الإسلام وتانخيّب ليها المسيحية، تا قلت صافي الصنارة شدات الحمد لله. مشات من بعد زارت واليديها، ضربو ليا خدمتي كاملة فالزِّيرو. عمّروها، رجعات جاعرة، قالت ليا ما يمكنش نبقاو مع بعضنا البعض! أ بنت الناس مازال ما درنا فالطاجين ما يتحرق.

- مانقدرش نبقى معاك، نتا ضريف وتايعجبني نهدر معاك، ولكن ما يمكنش نبقاو «أونسومبل»
- شنو وقع؟
- والو، فكرت فالأمر جيدا

واليديك أ بنت لحرام آشمن فكرتي!

- خليك تا ترتاحي ونعاودو نهدرو

دازت ليَّام، ولِّينا تانتلاقاو غير فالجامعة. وصلات عطلة الصيف، ما بقيناش نتشاوفو إلا نادرا وغير بالصدفة. أنا بدلت ساعة بأخرى، قبلت بالمكتاب وجاب الله التيسير لقيت خدمة ديال الصيف فمعمل ديال الفواكه، تمارة ولكن فيها لفلوس. هي كانت تاتدير المراجعة للدراري الصغار، وكانت تاتمشي لعند واحد الناس أثرياء تاتراجع مع ولادهم.

واحد النهار دخلت من الكُرفي لقيت ميساج فالتليفون، درت play، ديك السيدة، للي تاتمشي عندهوم فتاة أحلامي، معيّطة باش تقول ليا أن «زوجة المستقبل الثانية» مريضة كاو، باتت عندهوم، وقالت ليهم يعيطو ليا يخبروني.

همم.. ما عرفتش واش نفرح، حيت باقة شي حاجة بيناتنا، ولا نبكي على المرض؟ عيطت ليها فالبلاصة، دوزوها ليا، صوتها ميت

- مشيتي للطبيب؟
- لا أنا دابا أحسن
- واش نجي عندك؟

- سيكون هذا لطفا منك
- نورمال، أنا غا نجي دابا

مشيت عندها، دِّيتها لبيتها، وبقيت معاها تا نعسات. ولينا نتعايطو ونتشاوفو بحال قبل، وما بقيتش نضغط عليها فأي حاجة.. غير بشكل مؤقت، حيت جاية واحد الزربة عالمية زربت عليها.

الفصل التاسع والثلاثون

مزوج بجوج



دخلنا فالشهر الأخير ديال العطلة الصيفية. أنا ساليت الخدمة وبقيت مريح، غي الجامع والدار. هي قررات تمشي سيمانة لفرنسا عند شي صاحبتها تما. غير مشات طلع ليا لقرد للراس. حسيت بالوحدة ديال «توم هانكس» ف Castaway. النهار الأول داز عليا بستين تكشيفة، النهار الثاني هدرنا فالتليفون وأنا نقول ليها، بالحرف، الجملة التالية:

- غا ترجعي لألمانيا غدا، غا نتزوجو فالجامع وغا نمشيو للمغرب!

لحد الآن مازال تانعاود أنا وياها هاد اللقطة العجيبة وتانضحكو. هي ما ضحكاتش فداك الوقت، سحابليها شمِّيت السِّيليسيون ولا شي حاجة. صعيب يتيّقها لواحد، أنا براسي ما تيقتش مين درتها.

بقدرة قادر، جات لألمانيا فالغد، تزوجنا فالجامع، ومشينا للمغرب!!!

هي عندها هاد الخاصية ديال التّبيع دون تردد، يلا كانت عندها ثقة مية فالمية فاللي تابعاه. لو نجي عندها دابا نقول ليها جمعي حوايجك، خصنا

نحرقو الدار ونهربو للغابة، غادي تديرها بدون أدنى تردد! هاد الخاصية زوينة فحالات، وخايبة فحالات أخرى، بحال الدين.

فزواجنا فالجامع، سولني للي عقد لينا على الصداق، قلت ليه غا نعلمها القرآن. هادي غا ترجع عليا بحريق الراس من بعد. الإسلام شحال زوين، وليت مزوج جوج دقة وحدة، ليذهب القانون الألماني للجحيم.

المشية للمغرب غادي تغيرها 180 درجة. الجو العائلي، البساطة ديال الناس، الصلاة، الأذان فالزنقة. أنا كنت تانستغل أي فرصة باش ندفعها جيهة الإسلام. قبل ما نرجعو بيوم، نطقات الشهادة وأعلنت إسلامها.

والديها ما فراسهوم والو من هادشي كلو! رجعنا لألمانيا، سكنات معايا فبيتي واحد المدة، تا عطاونا دار، جوج بيوت وكوزينة فالحي الجامعي. الحياة ولاَّت حلوة. ݣاع داكشي للي تمنيتو وصلت ليه. لكن مازال كاين مسمار جحا، الزوجة الأولى، ومازال كاين نسابي، للي ما عارفينش أنهم نسابي، وأن بنتهم نكْرات يسوع المسيح!

أكبر قوادة هي حادثة الاختطاف، مراتي للي هربت منها، وصلات بالتحريات والاستقصاء للجامع للي تانمشي ليه، واحد الجامع صغير قريب للجامعة. جات دارت ليا البلبالة بالبكا والنواح، شوهاتني. الجوقة ما تفكات غير بتلبية الطلب ديالها

- بغيت غير نهدر معاك آخر مرة
- آخر مرة؟
- آخر مرة، وعد مني!
- أوكي هدري
- ماشي هنا، يالله معايا
- فين؟
- لشي بلاصة هادئة
- الله زيدي، ولكن آخر مرة!

ركبنا فالمرسيديس الكحلة، خرجات للُّوطوروت وكْسيرات، قلت فالأول ماشي مشكل، ربما غير كاعية، بنادم يقدر يكسيري مين تَايكون كاعي. شوية بدات تفوت ݣاع الدخلات ديال لمدينة وغرّقات. السرعة صاروخية باش غادة، فوق

200 كلم ومازال المُوري تايهبط! تّكَوانسيت فبلاصتي، مال هادي؟ بديت نسوّل فيها وهي منخّلاني، بديت نسبّح ونستغفر الله، حاولت معاها ثاني، وا الحاجة! فين غادة بينا؟ والو، متجاهلاني تماما، وتاتضوبل فالطوموبيلات. فتتا شحال من مدينة وقرية، خرجنا من ولاية «هيسّن» ودخلنا ل «ساكسونيا السفلى». بغيت نتفركَع بالفقصة، آش داني ولاش مشيت؟ ما كانش خاصني ندير الثقة.

جمّعت كل الطاقة للي عندي، حيّدت السمطة، وأنا نطلقها بواحد لالّة مولاتي الغوتة، غوتة ديال الموت، حسّيت بيها تهزّات من بلاصتها. زدت تشجعت، شديت فيّدّ الباب وبديت نحيّح:

- يا غا تحبسي الطوموبيل، يا غا نتلاح!

كون كانت مغربية كون قالت ليا تلاح، جاب الله هاد القوم مازال فيهم البراءة، نقصات السرعة، وخرجات من لوطوروت، حبسات فبُومّبا د ليسانْس. غير وقفو الروايض، خرجت حمدت الله وشكرتو أنني باقي عايش. بقات هي فالطوموبيل، هبّطات الشرجم وبدات بالبكا تاتسول فيا نفس الأسئلة للي قهراتني بيهم، وللي تا أنا ما عنديش ليهم جواب. شي نص ساعة وهي تاتوّلوّل وأنا غير تانسمع وصابر. من بعد شعلات ليها يمكن شي بولة فالراس، فهمات أخيرا أنه «ما فيش أمل». هبّطات الزّاج وقلّعات! خلاتني أنا مليوح فالخلا والقفار، ما عندي تا ريال فجيبي وما عارفش راسي فين كاين.

دخلت عند مول لبومبا سولتو فين أنا وطلبتو على التليفون، دار معايا زوين، عيطت لواحد الأخ جزائري

- راني ملاوح ف «هوكلهايم» ما عندي لا فلوس لا مركوب
- وين جات هادي؟

شرحت ليه شنو قال ليا مول لبومبا

- واش صرا ليك؟
- قصة طويلة، غير عتق خوك دابا

الفصل الأربعون

لكذوب عندو رجلين قصار



واخا عطاتني المليونيرة التيقار بشكل نهائي، ما بغاتش تطلق. باش نبزز عليها الطلاق، خاصني محامي وسير وأجي، وأنا ما عندي لا فلوس لا كًانة. المشكل دابا هو مراتي الثانية، ولاّت تاتجمّع مع الأخوات، الأخوات ما فيهومش غير لالمانيّات، فيهم المغربيات والتونسيات والمصريات وكًاع الألغام، للي ممكن تشتّت ليا علاقتي بيها. كانت تاتجي من المجلس ديالهم جايبة معاها ما تعاود.

- أجي أ سِّي! كيفاش داك اللابق ديال الصداق؟
- الصداق؟ مالو
- الأخوات عاودو ليا شحال خداو فالصداق. وأنا؟
- راه صداقك نعلمك القرآن

دارت فيا الشوفة ديال «واش سحابك تانرضعو صبعنا؟»

- واش كاين شي حاجة حسن من القرآن؟! المال يفنى وكلام الله تايبقى للأبد

كمّداتها فقلبها ورجعات عندي مرة أخرى

- علاش ما درناش العرس؟
- ماشي ضروري داكشي، حنا تزوجنا قدام الله تعالى، ماشي قدام الناس

المشاكل تاتجي دقة وحدة، والديها كانوا لحد الآن ما فراسهم والو، واحد المرة تخاريت أنا وياها على شي حاجة بسيطة، عيطات ليها مّها وهي تفَشّ قلبها، عاودات ليها علينا من طق طق تا للسلام عليكم! والديها بحال يلا ضريتيهم بالقرطاس. كون بنتهم تسرقات وتغتاصبات، كانت غا تكون أهون عليهم من أنها تتزوج بمسلم وتدخل للإسلام. طامة كبرى بكل المقاييس نزلات عليهم.

هوما ساكنين فالشمال، هي للي كانت تاتمشي تزورهم، ولكن مين سمعو الخبر القنبلة، تسلّحو برَبّ المجد وبالكتاب المقدس، وجاو تايجريو عندنا. بَّاها جاب معاه شلاَّ كتوبة، باغي يدير معايا مناظرة. من أول نقاش، طرا ليه بحال دوك الفيديوات، للي شي واحد تايكون تايغوت ومحيح وباغي يدابز، وتايجيبها فراسو، تايطيح مع صاحب دعوتو، تايضربو لكمة وحدة تايطيح دودة. هاكَّاك وقع ليه. الإسلام طبعا ما تايعرف عليه إلا القليل، وداك القليل ما فاهموش مزيان، وفيه الصحيح والخطأ، وداك شوية ديال الصحيح لقيت ليه مخارج بسرعة البرق. أما فالمسيحية فَكانت مهزلة، لدرجة أنه بقا فيا، وليت تاندير ليه خاطرو، غير باش ما يتقلقش وتغلي الأعصاب ديالو أكثر. فرق أنك تكون مؤمن، وأنك تكون دارس. نفس الأمر كاين فجميع الأديان. حاول مرة أخرى يتناقش معايا، ولكن كانت النتيجة نفسها، لدرجة أنه واحد الوقت بقا غير تايسمع ليا، واقيلا هدرت ساعات كاملة على الأناجيل والتاريخ ديالها.

بقاو معانا سيمانة، استسلمو فيها للأمر الواقع. على الأقل عرفو أن بنتهم خذات واحد تايبغيها، ماشي باغي يستغلها. فاليوم الأخير للي غا يمشيو فيه، جا عندي بَّاها عنقني وبدا يبكي. مين تايبكي الراجل، يعني راه وصلات للعظم، قال ليا أن بنتو ناس مْلاح، خاص للي ياخذ بيديها ويحافظ عليها. قلت ليه رْتاح أَ عمِّي، نعس على جنب الراحة.

التداعيات ديال هاد الزيارة كانت كحلة زحلة، نسابي ما تقبّلوش نهائيا الزواج الإسلامي، عتابرونا تانديرو الفاحشة والعياذ بالله. واخا مراتي عارفة أن زواجنا مزيان، ولكن ولاَّت باغة أننا نتزوجو رسميا، عند لعدول الألماني. أنا بطبيعة الحال ما نقدرش، لأنني مازال مزوّج!

بقات دايرة ليا الأرارة – الصداع – وأنا آخر حاجة نبغي نديرها، هي نمشي نرغب ونطلب مراتي الأولى. وكاين احتمال تعيق بزواجي الثاني، وتزيد تدير ليا المشاكل.

بقيت تا نتهرب من الموضوع وتا نْراري بمراتي، تا حن عليا الله. جاتني برية من عند المحامي ديال المرا الأولى على ود الطلاق. سبحان مقلب القلوب!

خرج ليا الطلاق، بلا خبار مراتي الثانية، دفعت باش نتزوج من جديد. مشينا نهار الزواج الرسمي أنا وياها باش نسنيو فمكتب الزواج. لعدول الألماني استقبلنا فقاعة زوينة وبدا خدمتو

- السيدة، كدا كدا، المولودة في كدا كدا، الساكنة فكدا كدا، عازبة
- السيد هشام ولد المرجة، المولود............مُطلَّق!

علاش أخويا علاش؟ أش درت ليك؟ ضروري تفرشني؟ قول عازب، قول أي حاجة من غير مطلق. كون عرفتك غا تخوّرني تخويرة سانك سانك، كون دوّرت معاك قبل ما ندخلو عندك. هادشي قلتو فنفسي. لمرا ولاَّ وجهها بحال مطيشة. كون كانت مغربية، كون شنقات عليا وجمعات عليا القريب والبعيد. تمالكات أعصابها، سنينا لوريقات وخرجنا. تانتمشاو وبجوجنا ساكتين، ولكن داك الهدوء للي تايسبق العاصفة. شوية دارت عندي قالت ليا

- كيفاش مطلق؟!
- ماشي شي حاجة؟
- كيفاش ماشي شي حاجة؟
- ماشي مهم، هذاك غير زواج أبيض، باش ندير لوراق حيت كانو غا يجريو عليا

سكتات، بقينا تانتمشاو، تانطل عليها بنص عين، الدموع ما بغاوش يحبسو من عينيها. حسيت بتأنيب الضمير ديال داك للي لاح القنبولة على هيروشيما.

جَلَسات و جَلَسات ديال التفسير والشرح والتبريرات، باش تْهَدّنات. للي ضَرّها بزاف، هو أنها كانت من دوك للي محافظات على راسهم للراجل للي غا يتزوجو بيه، وبغات تا الراجل يكون محافظ على راسو. تصيّدات معايا.

الفصل الواحد والأربعون

الإيمان والشك



مراتي جا معاها الإسلام، ولاَّت خطيرة فالتدين ديالها، تاتسول شنو تايقول الله فشي قضية، تانجاوبها، تاتديرها. الحجاب، الصلاة فالوقت، حبسات الموسيقى، تا التلفزة ما كانتش عندنا، لا تصافح الأجنبي. ما تقول غير رابعة العدوية. أنا وكانت تاتخلعني بالحرص ديالها على الدين. بدينا بجوج مرحلة ومستوى جديد ديال الالتزام.

رجعت للنشاط بشكل مكثف فالمسجد، تعليم القرآن، خطبة الجمعة، وتعليم الشباب. ولِّيت أنا وياها بحال طالبان في بلاد الجرمان. الدين والحصيرة والجنس الحلال. على ذكر الجنس، كنت تانديـر العزل، كيفما كانو تايديرو الصحابة، وكنت متيقن أن يلا كتب ليك الله شي حاجة غا توصلك، سواء بعَزل أو عازل طبي. هاد التدين لكبير غا يتسبب فإيقاد شعلة الشك من جديد. فإطار شرح الدين لزوجتي، كنت تانديـر شوية ديال تاحراميَّات. أي حاجة فيها مشكل أخلاقي فالإسلام كنت تانخبيها عليها. كان ممكن نبرّر، ولكن داك التبرير ما كنتش أنا براسي مقتانع بيه، فكيفاش غا نقنعها ولا نحس بالراحة يلا خدعتها. شحال من حاجة أنا متأكد كون عرفاتها فديك الوقت، كانت غا تأثر على الإيمان ديالها سَلبًا. زواج الرسول من طفلة صغيرة، حقوق البعل - الزوج - على مراتو، أحاديث بحال إذا دعا الرجل امرأته إلى

فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح. هي غير مسألة مثنى وثلاث ورباع، للي العالم كلو عارفها، كانت متقبّلاها غير بزّز. كان الإسلام ديالها فيه غير داكشي الزوين. الخايب ما عندنا ما نديرو بيه.

فداك الوقت نيت، تّبليت ببرنامج الدردشة الصوتية «البالتوك». بديت نعمّر فغُرف الحوار الإسلامي المسيحي. عاوناتني الدراسة المسيحية فحواراتي مع المسيحيين. حواراتي كانو مختالفين علِى حوارات الآخرين للي غير سامعين وجامعين نصوص من هنا وهنا. وليت مشرف في أكبر الغرف، تاندير محاضرات فالمسيحيات، ولاّو تايلقبوني بالشيخ، واخا أنا ما بيني وبين المشيَخة غير الخير والإحسان. كيفما كنت تانخبي على مراتي أشياء محرجة فالإسلام، كنت فانتقادي للمسيحية تانهرب من أي شيء فيه أخطاء مشتركة بين الإسلام والمسيحية. وليت تانستعمل أشياء وتانتجاهل أشياء، أو بعبارة أخرى تانكذب على راسي!

سِنوات وأنا على هاد الحال، وردة فعلي دائما كانت هي مضاعفة العبادات، كَوسيلة لمحاربة الشك للي قتلني من الداخل. الدراسة المسيحية ماشي هي للي خرجاتني من الإسلام، ولكن كان ليها تأثير كبير فبداية الشك، داك الشك للي خلاني ندير ما يسمى ب «الاختبار من الخارج». كيفما قدرت ندرس المسيحية بدون إيمان وعاطفة، قدرت كذلك نشوف فالإسلام بدون إيمان وبدون عاطفة، وبان ليا العيب. قدرت نشوف المسائل اللاإنسانية، اللاأخلاقية، بدون نظارات إسلامية.

الإسلام واخا زكّلني ما سرقش حياتي فالبوسنة، ولكن كان ديما تايجيب ليا لمصايب. وحدة منهوم كانت غا تدخلني للحبس، بعد الهجمات ديال 11 شتنبر 2001 فنيويورك، المخابرات الألمانية نتافضو وبداو يقلبو غير فين يشدو. الخلية ديال هامبورغ كان عندها علاقات مع بزاف ديال الجوامع، منهم الجامع ديالنا، أنا تلقيت ديجا جوج من الدراري المغاربة للي كانو معاهم فالخلية، واحد فيهم مازال مشدود لحد الآن فالحبس. للي زاد الطين بَلّة، هو أنهم مين بحثو فالإيميلات ديالي، لقاوني كنت مشتارك فمجموعة ديال newsletters - الرسائل الإخبارية الإلكترونية - الجهادية، للي تايسيفطو ديما الأخبار ديال الجهاد فالعالم، وتايسيفطو ليك بلانات كيفاش تصوب قنيبلات يدوية وما جاورها! عاقل دخلت واحد النهار من الجامعة، تانلقا تليفون الدار عامر بالميساجات، عدد من الصحف والقنوات الألمانية متاصلين بيا باش

يديرو معايا حوار. يا لطيف ياستار! ألمانيا كلها ركبات فيها حمَّى البحث عن الخلايا الإرهابية النائمة. أنا واقيلا كنت فجميع لوائح المخابرات. دازت ليَّام، ما جاوبت حد، تا لواحد الصباح غادي نشد التّران، تايوقف عليا رجل شديد السواد، لا هو بيض، غير حوايجو للي كحلين، وراني البطاقة ديالو ما قشبلت فيها والو، شي جهاز أمني الماني. قال ليا واش ممكن نهدرو دقيقة، قلت ليه خاصني نشد التران، قال ليا ما غا ناخذش بزاف من وقتك، قلت ليه سير عالله وأنا مرعود. ريحنا فواحد القنت خاوي ديال مقهى صغير تما

- واش نتا مع الاندماج - integration؟
- شنو؟
- إندماج المسلمين فالمجتمع الألماني
- طبعا طبعا

كلام المخزن هو لكبير!

- شنو الأنشطة للي تاتديرو فالجامع؟
- تانديرو الصلوات ديالنا وتانحتافلو بالأعياد

يمكن عرفني طالق عليه السلوكْية سوّلني نيشان

- شنو رأيك فألمانيا والألمان؟
- كلشي زوين، العام زين أخويا
- شكرا على وقتك، يوم سعيد
- يوم سعيد

لهلا يوريني وجهك عوتاني!

سمحت فالتران، رجعت للدار عاودت لمراتي شنو وقع. قالت ليا ما عندك مناش تخاف الله غا يحميك. قلت ليها فخاطري همم.. غا يحميني؟ الأبرياء للي تايطراو ليهم الوَيْلات يوميا شكون تايحميهم؟ استغفرت الله، ونقصت من النشاط فالجامع. الألمان ولاَّو عندهم مخبرين ديالهم، تايمشيو للجوامع وتايسجلو خطب الجمعة. للي خاف نجا. وليت محافظ غير على تعليم شباب المسجد. شحال من برهوش ألماني مسكين ما بيه ما عليه، جا للجامع غير على ود صحابو لمسلمين، صدق ناطق الشهادة! دخل كافر، خرج مسلم، إسلام «فاست فوود» وجبات سريعة!

الفصل الثاني والأربعون

الكفر



كمّلت قرايتي، تخرجت بسلامتي بأحسن نقطة فالدفعة ديالي، بديت العمل فشركة كبيرة. حالتي المادية والزوجية على أحسن ما يرام، رُزقت بطفلة، ساكن فدار زوينة، طوموبيل ماركة، ݣاع داكشي للي تايتمناوه أغلب الناس حققتو. آش دَّاني للكفر بهاد النعمة والخروج من دين اللّه؟ من بعد هادشي كامل للي دوزت فالإسلام غا نخرج منو بهاد السهولة؟ لا طبعا.

الواحد ما تاينوضش فالصباح وتايقول مع راسو آش ندير ما ندير نسمح فجنة الخلد ونختار جهنم.

كان مسلسل طويل ديال الشك، للي بدا بالجامعة المسيحية، ووصل للنهاية ديالو فشكل مواجهة صريحة بيني وبين راسي. واش غا نقدر نعيش بهاد الكم الهائل ديال المعضلات ونبقى نهرب ونتجاهل؟ أو نكون واضح مع راسي وأترك الجمل بما حمل؟ أنا فطبيعتي تانكره الرمادي، يا إما لكحل يا إما لبيض!

الشي للي جاب ليا التمام فالأخير هو الجانب الأخلاقي. كيفاش مثلا إله رحيم، يقال عنه أنه أرحم من الأم على طفلها، يسمح ببيع البشر في أسواق النخاسة؟ أنه يسمح باغتصاب النساء بحجة ملك اليمين؟ هادي واش ممكن يديرها إنسان رحيم، فما بالك بإله؟

الشر المجاني المنتشر فهاد الحياة. كيفاش إله، كلي العلم والقدرة ورحمان رحيم، يبقى يتفرج فالشرور ولا يحرك ساكنا؟

هـاد الأسـئلة ماشـي طرحتهـا ومشـيت تانجـري كفـرت، مشـيت حفـرت علـى أجوبـة مقنعـة عليهـا، مـا خليـت كتـب ديـن، مـا خليـت كتـب فلسـفة. داكشـي كامـل للـي لقيـت مـا قنعنيـش، بـل جانـي محاولـة بائسـة لتثبيـت المؤمـن علـى إيمانـه.

كتبـت مؤخـرا فواحـد المنشـور علـى الفيسـبوك أن للـي تايقلـب علـى دليـل علـى عـدم وجـود الإلـه الإبراهيمـي، مـا عليـه إلا أنـه يمشـي لأقـرب مستشـفى أطفـال، ويدخـل لقسـم الأمـراض السـرطانية. هـاد المنشـور عنـدو سـبب قديـم. بنتـي ميـن كانـت صغيـرة مرضـات بالـكلاوي، ودِّيناهـا لسـبيطار الأطفـال. ميـن كنـا مريحيـن تمـا فقاعـة الانتظـار، كانـوا الفرمليَّـات مـرة مـرة تايدوزو بكْـرارْس جارِّيـن فيهـم أطفـال قُـورْع، صحـاب العـلاج الكيمـاوي. عينيـك تايغرغـرو بالدمـوع بـلا مـا تشـعر. معانـاة هـاد الأطفـال ماشـي شـر مجانـي؟ واش التبريـرات ديـال بحـال هـاد الشـر مقبولـة؟

مـا كاينـش شـي وقـت محـدد تايعـرف فيـه الإنسـان أنـه كفـر، داكشـي تايوقـع بالتدريـج، والانتقـال مـن قناعـة لقناعـة تايكـون بسلاسـة. الشـيء للـي متيقـن منـو، هـو أن أول رمضـان مـا صمتـوش كان ف 2006. مـا خرّجْـش فيـا، مـا طاحـت عليـا رعـدة، مـا بْجّغنـي رّمـوك!

اللاألوهيـة أو الإلحـاد - الإسـم المشـهور - ماشـي هـو أول مرحلـة فالكفـر. أغلـب، أو ربمـا جـل اللاألوهييـن، تايـدوزو مـن اللادينيـة الربوبيـة فـالأول. الرفـض ديـال واحـد الديـن مـا تايعنيـش أنـك فقدتـي الإيمـان بخالـق للكـون. هـاد الفتـرة دوزتهـا فالأول.

طحـت مـن بعـد فمشـكل مـن نـوع ثانـي وهـو زوجتـي. لمـرا ݣاع مـا دوزات معايـا مسلسـل الشـك، كلشـي عندهـا «سـطابل» - مسـتقر. أنـا مـا قدرتـش نصارحهـا، لأننـي مـا بغيتـش نأثـر عليهـا كيفمـا أثـرت عليهـا فدخولهـا للإسـلام. قلـت نخليهـا علـى خاطرهـا، واخـا إسـلاميا مـا عندهـاش الحـق تبقـى مـع كافـر مرتـد. عييـت مـا نخبـي ولكـن شـحال قدنـي. بـدات تاتلاحـظ التَّغيُّـر. تاتسـوّلني واش صليتـي، تانقـول ليهـا إيـه. كيفـاش هـذا ديمـا تايصلـي بالتخبيـة؟ الجامـع مـا بقيتـش نمشـي ليـه، سـولاتني علـى الـدراري للـي تانقـري، قلـت ليهـا تكلـف بيهـم شـخص آخـر.

كنـت تانلقـا راحتـي فقـط ميـن تاتكـون هـي خـارج المنـزل. لكـن سـنين وهـي عايشـة مـع شـيطان بحالـي، تعلمـات تاحراميَّـات. ولاَّت تاترجـع للـدار تاتسـول بنتنـا واش بَّاهـا - أنـا - دار الله أكبـر، هـاكا كانـت الصغيـرة تاتسـمي الصـلاة. البنـت تاتقـول ليهـا لا.

شحال قدي عوتاني نقنعها أنني صليت وما شافني حد، بحال الرسول فغار حراء، منّي لمولاي، غي أنا هاد المولى ما بقيتش مآمن بيه.

بقينا على هاد الحالة أكثر من سنة، مراتي عيات وبغات تعرف آش واقع، تفرشيخ الرمّانة كان لازم يوقع. جلسنا جلسة مُصارحة، بدات من مساء داك اليوم إلى صباح اليوم التالي. ما خلينا تا قضية، حاولت نبقى موضوعي وما نديرش التبشير بالكفر. واخا تصدمات، الصدمة كانت خفيفة، حيت ديجا كانت حاسة بيا بعدت على الدين، لقات هي كذلك الفرصة باش تعبّر على أشياء كانت تاتحشم تهدر عليهم فالدين، بحال مسألة الإرث وأن الطلاق بيد الرجل. قلت ليها فنفسي كون عرفتي للي مخبي، كون كفرتي قبل مني.

مع الوقت، تا هي بدات تتكاسل فالعبادات ديالها، بقات مسلمة لمدة شهور أخرى. نهار قطعات، قطعات مع كلشي إلا الحجاب، طوّل بزاف بلا قياس. كانت كافرة ولابسة الحجاب، تخلط ليها مع الدم.

مرحلة الكفر للي أنا باقي تانعيش فيها، مرحلة كانت تا هي حافلة بالأحداث. ربما ترشق ليا شي نهار ونكتب عليها، باش نذكر بالتفصيل الممل شنو خلاني نقتانع أن الأديان ما عندهاش علاقة مع السما وإنما منتوج بشري.

الخاتمة

هـذه الذكريـات، بالزويـن ديالهـا والخايـب، هـي اللـي كوناتنـي وجعـلات منـي الإنسـان للي أنا عليه ليوم. إنسـان تحـول مـن مؤمـن بلغ أعلى درجات الإيمان، و ربما لامس درجات الإحسان، إلى كافر تاينتاقد الأديان، خاصة منها الإسلام.

لعيبات صغار قلبو حياتي رأسا على عقب.

نقـدر نبـان للبعـض أننـي كان ممكـن نتعامـل بطريقـة مختلفـة مـع شـنو وقـع ليـا، أننـي ارتكبـت أخطـاء، لكـن قليـل هـي الأشـياء للـي نبغـي نبدلهـا يـلا رجـع بيـا الزمـان للـوراء. أي حاجـة دازت عليـا تعلمـت منهـا الكثيـر.

خروجـي مـن الإسـلام فنهاية المطـاف مـا غيـر منـي والـو تجـاه خوتـي المسـلمين، بالعكس مـازال عندي لحد الآن النوسـتالجيا ديـال الجوامـع، وداك الجـو الإيمانـي الجميل للي عشـتو سـنوات طويلة. للي تغير بصح هـو نظرتي للإنسـان، للـي مـا بقاتش مبنيـة على الدين، هـذا كافـر هـذا مسـلم، أو مبنيـة علـى درجات الإيمـان، هـذا تقـي هـذا عاصـي، أو جنـس الإنسـان، هـذا راجـل هـادي مـرا، بـل ولات مبنيـة علـى الإنسـانية. مـا كايـن تـا شـي فـرق بيـن الإنسـان وخـوه الإنسـان.

الفهرس

إهداء..... 3
المقدمة..... 5
الفصل الأول هنا حليت عينيا..... 7
الفصل الثاني الدرب..... 10
الفصل الثالث الدار..... 15
الفصل الرابع المرْجَة..... 19
الفصل الخامس المدرسة..... 24
الفصل السادس الخدمة..... 29
الفصل السابع الجنس..... 34
الفصل الثامن الحلم الألماني..... 38
الفصل التاسع الطريق إلى «الجنة»..... 41
الفصل العاشر أرض الميعاد..... 46
الفصل الحادي عشر المسجد..... 49
الفصل الثاني عشر أهل المسجد..... 53
الفصل الثالث عشر حُرَّاس المعبد..... 57
الفصل الرابع عشر العالم الموازي..... 60

الفصل الخامس عشر *The Perfect Storm* 64
الفصل السادس عشر ما كرهتش نموت 68
الفصل السابع عشر أنتم السابقون ونحن اللاحقون 71
الفصل الثامن عشر وإنا إلى ربنا لَمُنْقَلِبون 75
الفصل التاسع عشر البوسنة 80
الفصل العشرون الجهاد؟ 83
الفصل الواحد والعشرون دخول الحمام صعب من خروجو 87
الفصل الثاني والعشرون التَّرقية 90
الفصل الثالث والعشرون عزيز الكازاوي 93
الفصل الرابع والعشرون العاصفة قبل العاصفة 97
الفصل الخامس والعشرون الفتنة الكبرى 101
الفصل السادس والعشرون شْدّات مَدَام 104
الفصل السابع والعشرون رفقة السوء 109
الفصل الثامن والعشرون حكايات قبل الرحيل 113
الفصل التاسع والعشرون العدل والإحسان في بلد الألمان 118
الفصل الثلاثون شكرا سيدنا عيسى 120
الفصل الواحد والثلاثون فرصة ذهبية؟ 123
الفصل الثاني والثلاثون خبزنا كَفَافَنَا أعطنا اليوم 127
الفصل الثالث والثلاثون المعضلة 131
الفصل الرابع والثلاثون ويرزقه من حيث لا يحتسب 134
الفصل الخامس والثلاثون الفرج قريب 137

الفصل السادس والثلاثون الفرج بْوْراقُو........ 140
الفصل السابع والثلاثون الزواج الأول........ 144
الفصل الثامن والثلاثون لفراق........ 147
الفصل التاسع والثلاثون مزوج بجوج........ 152
الفصل الأربعون لكذوب عندو رجلين قصار........ 155
الفصل الواحد والأربعون الإيمان والشك........ 159
الفصل الثاني والأربعون الكفر........ 162
الخاتمة........ 165